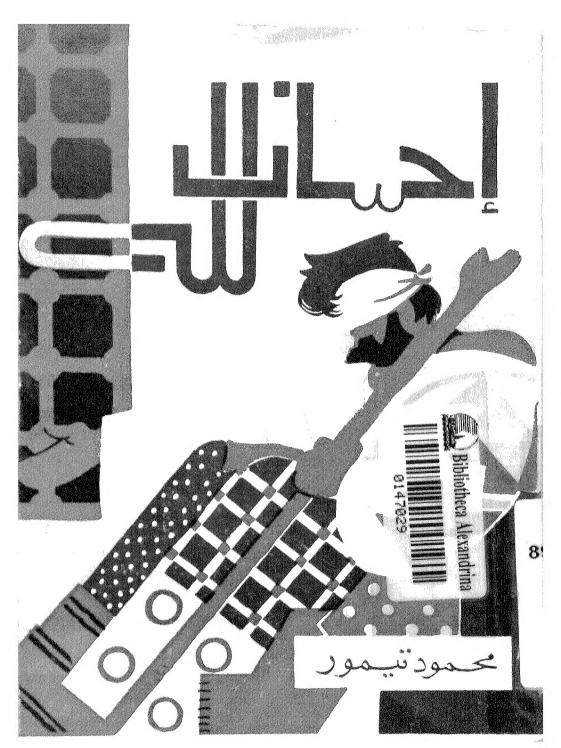
onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)





Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هجمؤ وشمور

إحسان يندر.

مشتن الطشيخ والنشع معتبة الأداب وملهتنا الجهامة مص ١٢٧٧٣ المطبعشة المنشق فدجية 1 سسكة المنسانوري المطلبية المعدمة erted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يوليو ۱۹۸۳

١

يُحِكَّمُ لَا فُنَّدِيْ صَلَعَالِ لَنَّبَى ۥ

ــ صَـل على الني ١٠

ــ اللهم صل عليه ١ ...

ـــ لقد نويت ُ أن أطلق المرأة ...

- لا حول ولا قوة إلا بالله ا ...

ــ قلت ُ لك صل على النبي .

ـ ألف صلاة عليه يا أخى.

ــ لقد استخرت الله في تطليق المرأة .

ــ هذا خراب بيوت.

ـــ أنسيت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : , أبغضُ الحلال إلى الله الطلاقُ ، ؟

ــ أعرف ذلك ، ولكن لا تنس أن الله سبحانه وتعالى قال :

و لا يَكُلفُ اللهُ اللهُ أَنْفُ اللهِ وُسُمَّا إِلَّا وُسُمَّا عُ ؟

دار هذا الجوار بين « محمد أفندى ، والمأذون الشرعى" في مَكتبه : إذ قب مدرم عليه « محمد أفندى ، ؛ ليتفق معه على إجراء الطلاق

وجعل المأذون الشرعى يسوسى طوايا عمامته ، مطيلا في تسويتها وهو يتنحنح ، معداً حنجرته لإلقاء خطبته المتيدة ، يحاول بها إصلاح ذات البين ، وإبراء نفسه من تبعة هذا المكروه قبل أن يغمس قلمه في الدواة ، شروعاً في تدوين وثيقة الطلاق ، وذلك تنفيذاً للتعلمات الرسمية المعهودة .

وما عتم المأذون الشرعى أن انبجس لسانه ، يشقشق بالجمل والعبارات ، محشوة بالنصح للزوج أن يكف عن الطلاق، وأن يؤثر الحسنى ، وأن يمسك زوجته بمعروف .

وكان يتلو هذه الخطبة عن ظهر قلبه ، كما ينشد التلميذ قصيدة من المحفوظات .

فلما بلغ الغاية من خطبته ، أحسد النظر فى وجه زائره ، كأنه يقول :

هل بعد هذا مقال لقائل ؟

ولكنّ معمد أفندي ، رفع طربوشه عن رأسه في ملالة

و منتجر و فتبدى رأسه أجرد ما حلا ، إلا من شعيرات مبعثرة كأنها أعشاب معسو عدة في صحراء مقفرة وطفق يمسح بمنديله المخطط الكبير جوانب وجهه ، وهو ذلك الوجه السمين ذو العينين المتور متين ، والشفتين الغليظنين ، والآنف العريض الذي يطغى بضخامته على خديه ...

ثم رفع صوته في حشرجة يقول :

صل على الني يا شيخ ...

ــ اللهم صل عليه .

ــ لقد اعتزمتُ تطليقَ المرأة والسلام ...

فأشرَعَ المأذون الشرعى عينيه إلى السهاء، كأنما يُسشهدُها على أنه أدى ما يجب ، وأن ذمته بَراه من ذلك الطلاق البغيض ...

وما أسرع أن دُو نت الوثيقة الرسمية ، فدسها ، محمد أفندى ، في جيبه ، ونهض بجر مه المتكتل ، وألواحه العراض ، ينقشل خطاه كأنه بغل أثقلته الاحمال ، ومضى يترفع برأسه ، ويتطاول بقامته ، على الرغم من أنه ذكر في على الحامسة والستين ، وهو يفتل شاربه الغزير في زهو المنتصر الغلاب ، يحس بين جنبيه . مو رة الفتو ق .

رلم لا يعد نفسه فنياً ، وهو بحمدالله لا يشكو عله ، و لا يسرفسه فراش المرض كيف يكون ، وهذه جو ارسه وأوساله مسكل مة لم يتنبي نبا الزمن ، و تلك أسنانه بيت القصيد في ملعمة جمهانه لم نسقط منها سن ، ولم يتثلم لهما حد ، وإنه ليتمهدها بمختلف ألوان العنابة من تنظيف و تسويك ، إذ يعلم حق العسلم أنها مطيته الدّ يوب إلى إصابة متعته الكبرى في الحياة : الطعام ا

عجمل مسلم عند أفندى ، إلى داره ، وهو يفكر في مباغتة الزوجة بما صنع عند المأذون الشرعى ، فيطعن كبرياءها ، ويشنى غليله منها .

يا منه ا...

شدّ ما أوقعت به الآذى : وأذاقته ضروب الهوان ...

شدّ ما سلبته ما له بمختلف الأحابيل الشيطانية التي يعيا بخبثها أدهى الناس ...

۲

ما إن حلّ « محمد افندى ، بالدار ، وطوّ ف بها ، حتى تبين أنها قاع صفصف ، ليس بها من متاع ولا أنيس ... فتلفت بمنة و يسرة ، وانبعث ينادى أهلَ الدار ؛ ليملم سرّ هذا الحوّاء الذى دخاها ، فلم بلب لداءه إلا راجع الصّدري ، يصدّع له بالحقيقة المرّة ا ...

ولمع فى رأس ، محمد أفندى ، خاطر اهنز" له ، فهرع من فوره . إلى كن" الأرانب . وجه." فى البحث والتفتيش ، فلم يحد" إلا نثيراً من فتات وعشب .

فار بدت معالم وجهه ، وتسعر بين ضلوعه الفيظ والتحسر . القد أت الزوجة على ما فى الدار ، فأعملت فيها يد النهب والاستلاب ، وإن ، محد أندى ، ليغفر لتلك المرأة كل مااقترفت لو أنها أبقت له ذخيرته المفعنلة من الإرانب ...

هى تعلم أنها باسقيلاً لها على تلك الدخيرة ، تُنْصَدَّو ب إلى قل ، د شمد أذندى ، سهما مريشاً ، و تصيبه في مقتل .

إن الأرانب طعامه المفضل، وطالما اقتى منهاالشمان المكتنزة باللحم والشحم، وتفنن فى تزويدها بالاغدية، وقضى أطول وقته فى المدلمة عن تلك الارانب ما تتعلب له نفاهه من طعام من ...

جمل « محمد أفندى ، يخطو في الرّدُمة ذهو باً وجيئة بقدميه الثقبلتين ، يضرب بهما الآرض ضربات يزدادُ المكانُ بأصداتها

من رهبة واستيحاش ...

وأنحى الرجل على شاربه يفتله ؛ كأنما يقتلع جذوره ، ثم ألقى بحسمه على صفة بنيت فى أحد أركان البهو ، وأطلق العنان لفكره ، يحلق حيث شاء ...

لا بأس ا ...

هذا آخر ما يلقاممن عنت الاقدار ...

إنه ليسدل الستار عليه ليستأنف حياة جديدة لا عنت فيها ولا رهق ...

لَـيُو َ ثَـُتُن الدار ، ولـيشترين طائفة من الأرانب الجسام...
ان يستعصى عليه أن يجدد عيشه، ويهي لنفسه المتعة والرفاهة...
ليصير ن المره إلى خير ، مادامت هذه المرأة قد أخلت له وجه الحياة ا

و بعد قلیل جعل « محمد أفندی ، یعتصر جبینه ...

إنه يفكر في الثأر عن أوقعت بداره تلك الخسارة النكرا.... لمنتقمن لنفسه ، ولآثاث ببته ، ولارانيه ا

لن يؤدى لها مؤخر الصَّدَاق، ولانفقة العدّة...

ولكن أى موقف يقفه من صبيته؟ ... صِبْيَتِهِ الثلاثة... لقد اصطحبتهم فى مُسنتقلها من الدار ، فلتتكفل بهم ، وحسبها

ما نالته من سو الف خيره ..

كيف ينفق ماله على هؤلا. الصبية الخبثاء؟ ...

أینسی کبف کانوا یکیدون له ، ویمکر ُون به ، وینصاعون لامهم دبنه، ویصبون علیه غارة شعوا. ؟ ...

القرش الواحد أعز عليها وعلى بنيها من نجوم السهاء!

استجمع الرجل ُ بدبر حسابه ، ويراجع ما له وما عليه ، وأخذ يتداول الارقام جمعاً وعلر حاً وقسمة .. ماذا يكنى لتأثيث البيت، ولتعميره بالارانب ، ولبناء كيانه من جديد ؟

وانتهى به التقدير والتدبير إلى طمأنينة وسكينة ، فثروته وإن نالهاكثير من التحبيّف ما برحت كافية وافية . في مستطاعه بها أن يحبا وحده حباة رفاهية ونعشمي .

أما الزواجُ مقد قرر ألا يُخطره بناله يوماً من الآيام...

كفاه ما لحقه من ويلات الزواج ...

لقد آل له أن يوصد ذلك الىاب الذى جر" عليه شكو لا من المتاعب ، وجر"عه ألواناً من العذاب

وغادر ما محمد أفدى ، دارك ، وقد سركى فى نفسه هـــدو. برار تياح ، وشرع فى طريقة يرسُم بها منهاج حياته الجديدة ولكن عايل من حياته الماضية كانت تحومُ فى مخيلته بين الفينه والفينة . لقد مضى ما مضى من عمره ، تطحنه راحا الحياة الزوجية ، حيث لا قرار ولا مهادنة .

كان من قبل موظفاً فى إحدى مصالح الحكومة ، يرى نفسه مهيب الجانب ، ويسرى إلى وهمه أنه مسموع الكلمة ، ويقع فى فهمه أن إليه تسند جلائل الإعمال .

ولكنه على الرغم من ذلك أقصته الوظيفة إثر تحقيق و بما أنه ، فأحيل إلى المعاش ، بعد أن نالت منه الآلسن، وشاعت له مو «القالة وإنه كلما خطرت بباله ذكرك تلك القضيه الشؤس ، بهور انفسه ، ويصب جام النقمة واللعنة على أو اتك الذين دبروا اله مؤامرة لحمها الحقد وسداها الانتقام ، أو لتك الذين خيل إليه أنهم قد ضافوا بهيبته وخشيته ، فاتخذوا لإقصائه وسائل وضيعة دون تورع ولاحياء ، وحاكوا له حيلا خفيت عنه ، وجازت عليه ، فأوقعته في المحظور ...

أخسسة دمحمد أفندى وَسَمَته إلى قهوة والمسلم شيعه و؛ ليهنأ بتدخين الجو ْزَة . وكان صاحب القهوة قد واعده منذ يومين أن يهيء له نوعاً ممتازاً من الطباق ...

ولكن ليس بجمل أن ينلق أنفاس الجوزة ببطن يصدفير" فيه الجوع غليبدأ بطلب صرَحمه مشحونة بالشواء الرشراش يقطر دسماً ، ولبتسمه أكواباً من الشاى العطر يمز مجرشفاته منه بأنفاس الجوزة ، في جلسة رخية يتعلق ض بها من دلك اليوم العاصف الأنكد ...

وجد الرجل فى السير ، متدفيّع الخطا ، منفسح السافين ، وقد سطع على محياه الطلافة والبشر . ولم لاوهذه ساعة من فر ائد ساعاته التى يشعر فيها بنشوة الفوز والانتصار ؟ . .

إنه فى هذه الساعة قد خلص من وطأة النوجة الناعسة ، كما خلص قبلا من زوجات أربع ، بنى بهن ، وأنجب منهن ، ولكن مسكابر هن كانت تنتهى تباعاً إلى الطلاق ...

وأیّ ذنب هو جانبه ؟

النساء سواء ، الآولى كالثانية ، وكلتاهما تشبه الآخريات . عاشر كلا منهن أعواماً طالت أو قصرت ، وخرج من عشرتهن جميعاً بصفقة المغبون . ليس لكل منهن هم إلا اجترار المغانم ،

وأبازاز المطالب. ليس لهن دستور إلاالسيطرة والتأمر والعجر فقب

ما كان أتمسى تكاليف تلك الزوجات عليه ا ...

عَنِي اللَّهُ فَهِنَ كَانَ يُحِشِّمُهُ أَفْدَحَ الْمُشَاقَ ...

ألم بَكَابِد هِمُّ الدَيْنُ والرَّهُنُ والبِيعِ، ليواجه القضايا والاحكام، فيؤدَّى مَا وَجِبُ مِن مُؤْخِر الصَّدَاق، وما تقرَّر مِن أَلُوانُ النفقات لهذه الزوجات، ولذلك الجحشُ للجيب مِن أَطفاله البنين والبنات ؟

لقدكان يتحمل فى جلد وصبر تلك الهموم كل مرة ، أى عندكل تطليق ... منتظراً من وراء هذه التصفيات راحة البال وإزاحة الاعباء عن كفيه ، فيهنأ بالحرية والخلاص ...

ماكان أغناهُ عن الزواج، ولكنه يعجب من أمره، كيف كان فى كل مرة وهو يواثق نفسه على حياة العزُّوبة، يجد خطاه قد تورطت فى الطريق إلى زوجية جديدة؟

أما اليوم فلا عوَّد لذلك الماضي الكريه ...

لن يألُّدُغ من ذلك الجحر مرة أخرى ...

فيها أصاب من المتم مَقنَعُ له ، وفيها لتى من الإرهاق رادع أَى وادع ا و تصرمت الأيام تستىفد جها. د عمد أفندى ، فى تصفية حساب: تلك الزوجية الآخيرة ...

وعلى الرغم مما عانى من المراوغة والتحايل خلاصاً من باهظ النفقات ، لاحقته الحاكم تفرض عليه المغارم ، حتى ألنى نفسه يوماً لايملك أثارة من عقار فى والقاهرة لقد نفيدت ثروته ، إلا داراً متواضعة في فرية هي مسقط رأسه ، وأشتاتاً من أرض تزرع واحرباه الله ...

أتقضى زوجياته الخس هذا القضاء المبرم على ما كان يملكه فى د القاهرة ، بمــا يو فر له اليسار الرغيد ؟ . . .

و نكس الرجل رأسه مهموماً ، يجتر آلامه ، ويقد َ ح فكره... ووثبت فى خاطره فكرة ما عتم أن هش لها ، وفرح بها... لم لا يستأنف حياة جديدة فى الريف ، يعمسُر داره ، ويتعهد أرضه ، ويستنبت أطيب الثمر ، ويحيا فى خفض ودعة ؟ ... ثمة خبر كثير ، وإنفاق قلبل ...

ثمة مراح عريض ترتع فيه أرانبه المحببة، فينعم منها بالسمين المكتنز ... ولكن عرضت له مشكلة لم يتبين لحلما وجماً ...

أتى له أن يحصل على الطباق الممتاز الذى يعده له والمعلم شيحة، في الجوزة ؟ ...

أَثُراه قادراً على أن يسلو أنفاس تلك الجوزة التي يصابحها ويماسيها لا بملها ولا تمله ؟ ..

وسرعان ماضرب جبهته بيده ... أمن العسير على، المعلم شيحة، أن يوافيه فى الحين بعد الحين بمؤنته من الطباق ؟...

لله الحسيد ا ...

كل شيء قد تمهد ، سوف يعيش سلطان زمانه في منجاة من العننك والآذي . ولم لايطمع في حياة رخبة ناعمة ، وإن له لإرادة صُلبة تَصَدَّع المشكلات ، وتأتى بالمعجزات ؟ ... إرادة لا يقف دونها شيء ، ولكنها تقف سداً منبعاً ثرد عنه أبدا ويلات الزواج ا ...

٥

شدً ومحمد أفندى ، رَحله إلى قريته وكفر عقبق ، . . . فقد مها مع الليل ، فواجهته العتمة والصمت . .

وقف يتطلع حوله، فوجد كل شيء كأنما يتجهم له ، فأحس

من فوره وحشة تباغته، فتدفعٌ بحرمه الضخم، متجها نحو داره، هرباً من تلك الجهامة والرّكود... داره التي انقطع عن زيارتها منذ أعوام طوال، فكاد يضل طريقه إليها.

وما إن بلغها حتى استقبلته بمثل ذلك العبوس الذى استقبلته به القرية : بناء متطامن متضائل ، يختنق بين جاراته الدور ؛ كأنما هو أنقاض يعيث فيها الخراب ...

ووقف فى صحن الدار، يتأمل فيها حوله، وقد زلزلت كيانه رعشة واضطراب ...

وراح بوازن بين ما يشهد الساعة من كآبة وخمود ، وبين مجالى حياته فى دالقاهرة ، . كيفكان يعيش فى مسكنه الطيب ؟ وكيفكان يحد الإيناس فى قهوة د المعلم شيحة ، ؟ وكيفكان ينعم هناك بالماء المثليّج والجوزة الضاحكة والوجوه المستبشرة والمذياع المسلى والباعة يهتفون بسلعهم فى غدرُو ورواح ؟

أين تلك الحياة الزاخرة بألوانها وأضوائها من هذا الظلام الدامس بين الرموس والاطلال؟

وأخذ يتنقل في الردهة الخاوية ، فكلما خطا خطوة علقت

بوجهه أقداء . فالتمس الخلاص إلى مُستشرَف يطالع منه صفحة السماء ، فتهادت إليه أنسام رفيقة معطرة ، وأخذت عينه قوس الحلال وهو يتراءى في عُرض الآفق إيذانا بمطلع الشهر الجديد . فلبث الرجل وقتا يتوسم الحلال ، ويستقبل ملاطفات النسيم . فاطمأنت نفسه بعض الطمأنينة ، وحلق بفكره في رحاب من الآمال والرّغاب، وراح يسائل نفسه :

فيم الضّجر ؟ كل صعب يهون ... أما الدار فني المكنة أن يقوم على أنقاضها مَسَعْنَى أنيق تتوافر له معدات الراحة . وأما القرية فإنها فى حاجة إلى إحياء وتجديد . وإنه بهما لزعيم . ههنا بجال لآرائه العصرية يبثها ، ونظراته الثاقبة يُـشعها ، وهمته الماضية يبذُكُها . فليشنها غارة شعوا. على الركود والصّعة ، ولينتشل القريّة عاهى فيه ، حتى تصبح جنة آهلة عامرة ، موفورة الحظ من أسباب المتعة والإيناس .

وتعاوره التثاوب . وسرى فى أوصاله الخول . وإذا هو يتهالك على أقرب كُومة من مكانه ، فاسترخى يسعف جسمانه ببعض الراحة ...

ودارت عجلة الآيام . وما برح و محمد أفندى ، يعيش فى ذلك الوكر الموحش ، كما يعيش جير انه من أهل القرية فى أوكارهم المتداعية وكلما خطر بباله : ماذا صنع بمشروعاته فى التجديد والتعمير ؟ اربد وجهه من حنق ، وهو يهجس :

العجلة من الشيطان ، والعاقل من حزّم أمره قبل المضى فيها يريد ، وفي الآناة منجلة من مزالق التسرع ، ولكل شيء إبّان ، ومادامت الإرادةُ الصّابة قائمة والعزم موفور الوقود فلايأس من الإصلاح ا

ولامر ما پرزت عبقریة و محمداً فندی و فی التجدید و اشتعل نشاطه فی التعمیر و لکنه خص بتلك العبقریة و ذلك النشاط رکناً واحداً من أركان الدار و مرفقاً خاصاً من مرافقه ... ذلك هوكن الارانب

لقد استبد هذا الكين بيقظته ورعايته ، فأشرف على بنائه ، واجتهد فى تزويده بالآدوات والمهمات ، حتى أصبح مرعى طيباً لجيش من الارانب على اختلاف الانواع .

واتفق و لمحمد أفندى ، أن يعثر بعد جهد جهد على شيخ

طحنته السنون ، كان يتنهن الطهو كما يزعم فى دبر السراة والكبرا. وقد نسى مهنته من فرط التعطل ، وبعد العهد ، وضعضعة الكنر...

فعُدى ، محمد أفندى ، بأن يستخرج هذا الرجل ، ويميط عنه غبار الزمن ، وبَجُمْلُو َه على عرش المطبخ كما كان فى سالف عهده العبيد . .

وحق ولمحمد أفندى، أن يفخر ببنائه حظيرة عصرية للا ان... واستخر أجه لذلك الطاهى التليد .. وكبف لاوقد راع القرية ؟ظهر من مظاهر المدنية والتحضر لم يكن لها بمثله عهد ؟

وكان «محمد أفندى ، يبذل أطول وقد ــ ه فى صحبة ذلك الطاهى المتهدم ، يرقب الآرانب وهى فى القدور تتقلب فى سمنها القُلتار ، على حين يتحلب فه من تشوف وتعجل . . .

وكثيراً ما احتدم الشجار بين و محمد أفندى ، وطاهمه فى شأن ألوان الطعام ، وما يجب أن يتوافر لها من دقة وتحويد وإتقان . فكان يحاول أن يفرض رأيه على الطاهى مسفها خبرته ، ناعمًا عليه تقصيره . ولكن زمجرة الطاهى وتهديده ببرك الحدمة كان يحدو و محمد أفندى ، على أن يغادر المطهى فى تسلل ، قاصداً

٧

وكان يختلف إلى الدار شيخ من حفظة القرآن ، يُدعى الشيخ عَـز بان ، يقرأ الراتب اليوى من آى الذكر الحكيم ، وكان ومحمد الهندى، يخصُّه فى الفينة بعدالفينة بالجلوس إليه تبر كا بقراءته ولكمه لا يلبث أن يبادره سبات عميق ، فتنطلق من خياشيمه حشرجة غطيط تبارى صوت القارىء فى ترتيله .

وكان والشبخ عزبان ، لايفنأ يرطب لسانه بأسنى المدائح اسبد الدار ، متغنيا بأخلاقه وشمائله ، فيستبقيه ، محمدافندى، وقتا ليقص عليه طرّ فا من أعماله المجيدة في فترة اشتغاله بالوظبفة ، ويسبّ الدهر الذي جازاه أفبح الجزاء . .

ولم يكن ينسى أن يتطرق بالحديث دائما إلى زوجاته ،
وما أفاءه من عطف عليهن وبر بأطفاله منهن ، على الرغم بما
أسلفن إليه من مساءة وإيذاء . ومهما يكن من أمرهن فإنه
قرير العين ، مطمئن الضمير بما صنع ، ضاربًا صَفحًا عما
لق . وحسبه أنه أدى واجبه الإنساني على خير ما يؤديه ذو

مروءة وإحسان ...

كان ، محمد أفندى ، يسترسل فى الإشادة بماضيه ، والتمدّج بأمجاده ، فيستمع إليه الشيخ مبديا تصديقه وإعجابه ، وهو بشخصه الصئيل مشكمش فى عباءته المهلملة ، يختلس النظر إلى جليسه بمقلتين كأنما انترعتا من عيني ثعلب .

ولم یکن الشیخ یخرج من مثل تلك الجلسة خاوی الوفاض ، و إنما کان یُجزک بما تیسر من ضلع أرنب ، و شار من رز "، فی لفائف من خبر ر حراح ...

٧

طابت الحياة على هذا النحو رَدَحا من الزمن ، وأصبحت مألوفة د لمحمد أفندى، لا يشعر لهابملالة ولاضجر . فقنع من حياة الترف والإيناس فى الحضر ، بما وعته عبلته من ذكريات يعرض صحائفها بين آن وآن .

ونجمت فی دنیا ه محمد أفندی ، حادثة لم تمكن له علی بال ؟ إذ أصیبطاهیه بو عُمد ألزمته مرقده، فضاق و محمدأفندی ، بأمره، وأسقط فی یده ، وقضی یومه حیران أسفا ، یدور فی بیته ؛ كأنما یتفقد شیئاً أضاعه ، دون أن یعثر له علی أثر . وكان فى مداره بالببت يدنو منكن الأرانب ، يلتى عليها من الطاق نظرات مسترقلة ، فيجدها راتعة بين أضغاث البرسيم ، تلتمع أعينها في بهجة ومراح ، وتتواثب سمينة متملئة من شبع ورى ، فيقف محمد أفندى ، مهموم الخاطر مغيظ النفس ، وينصرف عنها متلها من حقد وحنق .

ولم يجد محمد أفندى ، فى ذلك اليوم بدًّا من أن يعدّ لنفسه مطعمه على شرّ وجه .

ولما حضر القارى، لم يجد بقية من طعام يصيبها ، بل إنه لم تسنح له فرصة يتمدح فيها بأبجاد « محمدأفندى ، إذ كان رب الدار مهتاج الاعصاب ، جهم الحديث .

وطالت العلة بالطاهى ، فثارت ثورة ، محمد أفندى، ولم يعدله صبر ، فجأر بالشكوى إلى صديقه ، الشيخ عَزَبان ، ، فطيّب الشيخ خاطره ، ووعده أن يعينه على حلّ هذه المعضلة .

وفى الغداة ، بينها كان و محمد أفندى ، يترشّف القهوة ملولا متململا ، أقبــــل عليه شبّح ضئيل يمشى على استحياء ، متلفعاً بالسواد ، فى بذاذة هيئة ...

> وتدانى الشبح يلـُمَّ يد الرجل فى تخشع ، فسأله : من يكون ؟

فأجاب الشبح فى صوت ضارع :

أنا بنت ابن والشيخ عربان، ...

فسألها:

فيم قدومك ؟

بعث بی جد"ی آلاقوم بما یازم .

فأجابها على الفور :

أتجيدين طهوَ الأرانب؟

- أعانني الله على مَر ضَاتك .

فبسط الرجل جانبيه ، وزوى ما بين حاجبيه ، وشمخ برأسه ، و قــــال :

على أية الطرق تحسنين طهو َ الارانب؟

- على أية طريقة تشتهي ... مُسر ني تجدني عند أمرك ...

وكان صوتها متخاذل النبرات ، فنهض « يحمد أفندى ، بصدره ،

وصاح بهـا :

ارفعی مِن صوتك ... مم تخافین ؟... أوحش أنا تحذرینه ؟

وسما بقامته واقفاً ، وهو يقول فى لهجة الآمر : اتبعبني إلى كن الارانب ...

وكانت الأرانب قد احتفرت فى أرض الكن سراديب دفينة تستتر فيها ؛ كأنها مخابىء الجيوش فى ساحة الهيجاء ، وقد تعلم ذلك الحيوان بغريزته : كيف يحاذر ويترقب ويتحيل ؟ وكيف يقاوم ويتفلت ؟ فلم يكن اصطباده بالأمر اليسير ...

و لشد" ما تعب و محمد أفندى ، و تعب طاهيه فى اقتناص ما يشتهى من ذلك الصيد الآبي" العنيد . . .

وبدأ ، محمد أفندى ، صياحه معلناً تعاليمـــه ، وأخذت الفتاة تعمل فى همة ، مبتغية أن تظفر بثقة سيد الدار ، وتحوز رضاه ، واضطرت أن تزحزح عن جانب رأسها ذلك الخيار المهلمل فبان منها وجه مسنون. يميل إلى السمرة ، ذو قسِمات خلت من دمامة ...

وبينهاكان و محمد أفندى ، مائلاعلىرَ بُـوَته يأمر وينهى ،كانت الفتاة تتواثب فى خفـــة خلف الأرانب ، تنفيذا للأوامر والرغبــات .

ولم يمض مديد وقت حتى أفلحت الفتاة فى اقتناص زوج من الأرانب منتقى يترجح سمانة وامتلاء. فحملته إلى الرجل ووجنتاها تضر جهما نضرة النشاط، وعيناها تلتمعان التماعة الفوز. فتناول ومحد أفندى ، زوج الآرانب من يد الفتاة ، واحتمله من آذانه ، يتعر فرنته ، ويتحسس أعطافه فى نهم واشتها. . ثم أعاده إلى الفتاة طلق الاساربر ، وما ملك أن صاح :

مرحى ا مرحى 1 ... لقد أحسنت الصيد والانتفاء . . .

ثم ماعتمَ أن استدرك يقطبجبينه ، ويستنقذُ رزانته وإمرته ، وجأرَ فى خشونة :

إلى المطهى...

وانطلقا مماً ، وهناك خلع « محمد أفندى ، معطفه ، شم تشمر واهتم ، واستأنف صولته فى إصدار الأوامر . ونهضت الفتاة بكل ما تتطلبه الحالمن شتون ، فذبحت وساخت وشرعت تطهو، والرجل لا يفئتر له صياح ، دون أن يشارك فى شى. .

ولما اطمأن ومحمد أفندي، إلى خبرة الفتاة وحسن قيامها بالطهو،

تزحزح عن المطهى، دالفاً إلى مستشرَ ف الدار، فما إن بلغه حتى تهالك على مقعده الفسيح يستريح.

وبنها كان فى رخاوة وانطلاق خيال، يرنثق النوم فى عينيه، إذْهب على خياشيمه شذًا القهوة المعطرة. واستبان له شبح الفتاة تقرب منه القدح. فاعتدل فى فعدته، وتأهب لارتشاف قهوته، وخالس الفتاة نظرة ترفع، ثم أشار إليها بظهر يده أن تنصرف لشأنها، دون أن ينبس ببنت شفة.

وفرغ « محمد أفندى » من ارتشاف القدح ، فإذا « الشيخ عزبان » يلوح متزاحفًا فى مشيته ، جمّ الحياء ، بادى التذلل ، وألقى عليه تحية بالغة الإجلال ، ثم اتخذ مجلسه عن كشب منه ، وشرع يتلو معض الآى فى صورت خافت ، معددًا أو تار لهاته لتجويد وترنيم . . .

واذ هما على هذه الحال ، قدمت الفتاة تسترجع الفدح ، وما لبثت أن عادت أدراجها ﴿ فع الشيخ بصره فى محاذرة واستحياء ، ونظر إلى م محمد أفندى ، قائلا وهو يفر ك يديه •

امل سيدنا البك راض ...

فصو"ب الرجل عينه إلى الشيخ ، وقال مغضَّن الجبين : عن أى شيء ؟ ففرَجَ الشيخ مابين شفتيه ، وبعثر نظراته يَمنة ويسرة ، وقال مطأطيء الرأس :

عن البُنسَيَّة . . خادمتك . . .

فأشاح الرجل بوجهه فى إهمال، وهو يقول:

لا بأس بها ...

ثم ما عتم أن انطلق يتضاحك فى تصنع ، وهو يقول :
ما لبنيتك هذه ضئيلة ، لا تكاد تبين ، كأنها حر باءة ؟ . . .
فاستجاب له الشيخ يضحك كما ضحك ، واندفع يهز عطفيه
ويفرك يديه قائلا :

أطال الله عمرك ، و لا حر منا عطفك ورضاك ...

٩

وأخصلت علة الطاهى الهرم، فلم تدع له طاقة باستثناف العمل فو اصلت الفتاة الاضطلاع بخدمة الدار، تباكرها فى ربّت الصبح وتظل فيها إلى غيوب الشمس، وأحس و محمد أفندى، فى داره إحساساً جديداً لم يسبق له به عهد. ذلك أنه الآمر المطاع، والداعى المجاب. إذ خلا المطهى من زمجرة ذيّالك الطاهى الحرف، وحلت محاماً تلك الطاعة المطلقة، والانقياد التام...

وكان يقضى الرجل شَـطـْر يومه الأول على عرشه فى المطهى بين المواقد والقدور ، يتملى مرأى المطاعم ، ويتشمم ما يتضوّع من شذاها ، ويستمتع من مذاقها بما يريد ...

فإذا انتصف الهار ، تجلت أمامه الصينية الرحيبة ، وقد احتشدت فيها صحافُ المشهيات والحنضر الحير" يفة من نحو البصل والكراث وما إليه ، و فى بُهر"ة الصينية بستقر الطبق العتيد تتشامخ فيه أركان الأرانب على حشايا الرز" المسمون .

فینبری ، محمد أفندی ، للطعام وقد تطلق محیاه ، وتجمع لفر ائسه یناقشها الحساب . و یستصفیها ما تحتوی من زیدة و لباب .

وربما انحرف بصره غير عامد ، فصادفه شبح الفتاة ، ماثلة ترتقب إشارته لتسارع إلى التلية .فههم والطعام يعترك بين شدقيه:

طمواك يبشر بمستقبل حسن ا

فتبتسم الفتاة تحجولا ، وتجيبه خفرة الصوت :

أدام الله علينا عزك .

وما إن يفتر ثغر الرجل عن مطلب حتى تكون الفتاة قد. أجابته إليه ، فهذا كوب الماء تنحى به عنكثب منه . وذاك طبق ظيف تقربه إليه .

وما يكاد يفرغ من طعامه .أو بالحرى : ما يكاد يفرغ الطعام.

بين يديه ، حتى يرى الفتاة قد مثلت أمامه بالطست والإبريق ، وعلى كتفيها الفوطة حاضرة . وهى فيها بين ذلا كله رائحة غادية ، تدأب في إسعافه بما يطلب ، وفي التفطن إلى ما يهجس في نفسه . أما هو فلا يكون منه إلا العجيج بأوامر لا تنتهى ، والصياح بطلبات ليست بذات بال ، وإنما هي رغبة التأمر والاستمتاع بالسبطرة . فلا يجد من الفتاة على أية حال إلا الطوع والإذعان . وبعد الغداء يقبل و الشيخ عزبان ، فيأمر و محمد أفندى ، بجمع بقايا المائدة ؛ ليحملها الشيخ في منديله الاحمر الفضفاض . وقبل مبارحته الدار ، يسأل و محمد أفندى ، في شأن فتاته ، ومبلغ رضاه عنها . فيجيب الرجل :

لها مستقبل إن ثابرت وصابرت ..

- تعلمات سعادتك خير مرشد لها في الطربق ...
 - ــ إنى أعلمها قدر ً ما تفهم ...
- ــ ثق بأن ثوابك عد الله عظيم ... إن الله لا يضبع أحر المحسنين .. هى بنت يتيمة ، ونحن ليس لنا فى الدنيا غـــــير عطفك ...

وق بُسكرة بوم هبط الطاهى الهرم يتحامل على عكازته ، وقد بهكنه العلة ، وتحييفه الهزال. فتدانى من و محمد أفندى ، يحييه، فبوغت بلقائه ، ولم يستطع أن يكظم استياءه، فاستقبله بوجه كالح ، ولكنه لم يجد مندوحة عن رد التحية ، والسؤال عن الصحة ، واحتل الطاهى عرشه القديم بين المواقد والقدور ، وانتهت مهمة فتاة الشبخ ، فم يعد لها مجال .

فكان « محمد أفندى » يفزع إلى مستشرّف الدار ببثه همه وضيقه . إذا استبدّت به الرغبة إلى مطالعة المطهى تسرّب إليه على أطراف أصابعه ، ونظر من خَـصاص الباب يلتمس الطمأنينة على ما يجرى فى عالم المواقد والقدور من شئون .

 إلا إن نهض يملاً السكوب، وإذا أكل حتى تضلع وأثقل لم بحدد مندوحة من النهوض بعبثه إلى مرافق الدار يغسسل يده . فأما شهود التأمر ونزعة السيطرة فقد احتبست في ققهما لا تجدالسببل إلى الانفلات .

ولم تكد تمضى أيام على قدوم الطاهى ، حتى مال والشيخ عربان، على و محمد أفندى ، يشكو إليه ما دهاه من ألم فى الظهر ، ووجع فى المفاصل، مما اضطره أن يتوكأ على كتف فتاته فى تمقله ..

ومن ثم كان و الشيخ عربان، يؤم الدار مصطحبا تلك المتاة، فإذا قدم إبّـان الطعام، حاوات الفتاة أن تخدُم سيد الدار على مأئدته كسابق خدمتها له، فيحسّ ، محمد أفندى، براحة فقدها منذ عاود الطاهى عمله

وكان ذلك الطاهى إذا لمح الفتاة فى هذه الفترة القصيرة . تمكر عليه بخطو انها صفو استقلاله ونفوذه ، اعتلجت فى نفسه زمجرة م حبيسة ، وحـــ دَحِها بنظر اتر حدّ اد ، واستعاذ بالله من تلك المنافسة الشعواء .

وشاعت فى أرجاء الدار سارية سمن الخصومة المكبوتة . والاستنكار المكنون . وكلما طلع يوم جديد . شعر ، محمد أفندى ، باشتعال رغبته فى الخلاص من هذا المأزق ، وتصفية ذلك الجو ،

والرجوع إلى حياة طمأنينة وراحة وسلام .

11

وذات يوم لم يكد الشيخ ينصرف في صحبة فتاته بعد الغداء، حتى زحف الطاهى الهرم للى سيده ير جُسف غيظاً ، وإذا هو ينهى إلى و محمد أفندى ، أن فتاة الشيخ قد أعملت في المطهى يد العبث وأنها جرؤت على أن تدد بعض الأوائى، وتسلب بعض الأطعمة . واند فيم الطاهى في نكيره و سخطه ، يعلن أنه يحر م على الفتاة مقاربة المطهى بعد اليوم ، وإلاقهم ظهرها ، وقذف بها فاقدة الانفاس . وكانت هذه القذ فية أذا نا با فجار البركان ، فقد نفرت أوداج « محد أفندى ، وفار نادم في رأسه ، وصاح من فوره متهدج الصوت :

صل على الني .

-- اللهم صل عليه .

ومرت خُظة ، فأحس « محمد أفندى » ريقه يغيض ، وأوصاله تُسُر عـد ، فردد قوله :

قلت لك صل على النبي .

ألف صلاة عليه .

ــ أنت منذ اليوم مطرود يا حضرة ...

ففو جي الطاهي بتلك الكلمة ، وعاجلته البهتية ، وأحدبصره في الرجل ؛ كأنما يستوضع من ملامحه كنيه ما سمعت أذناه ، وهمهم : مطرود ؟ . . . مطرود ؟ . . . مطرود ؟ . . . كيف ؟ . . .

ــ مطرود والسلام ١٠٠٠

وتمالك الطاهى ، واستعاد ثقته بنفسه ، ورمى الرجل بنظرة نكراء ، وصاح فى لهجة رعناء :

مطرود أو غير مطرود ...هذه البنت الخسيسة وجدّها المحتال لن تطأ أقدامها عتبة الدار ، بعد الآن ...

استمع دمحمد أفندى، للطاهى ، وهو يرسل هذا القول، وجعل يمعن الفكر فبه . فلم يخرج إلا بمعنى واحد، هو أن سيد الدار رجل غيره، وأن الزمام مُسفلت من يده، وأن أمره بطرد ذلك الطاهى الاحمق أمر مشكوك فى تنفيذه ، وإذن فالطاهى مستأنف عمله كدأ به ولن يظهر فى الدار ظل لذلك الشبخ وفتا ته... وهم د محمد أفندى ، أن يو اجه سطوة الطاهى بما يقضى عليها، فاول أن ينهض مستجمعاً متشجعاً ، يستعين جوارحه ، ولكن سرعان ماخذلته ركبتاه المهتزتان ، فتهاوى على مقعده العتيد يهمهم فى تضعضع واندحار ...

وما عتم أن رأى شبح والشيخ عزبان ، مقبلا عليه . ولم يكن قد غادر الدار كما توهم الطاهى ، وإنما ارتفعت الستارة عن هذه المأساة ، وهو فى منصر فه ، فرجع منزوياً يتسمع ... ثم أقبل مبهور الانفاس ، يتصنع الإعياء ، وألتى بجسمه عن كتب من و محمد أفندى ، ، وصاح تخنقه العبرات :

لا أغلق الله لك بيتاً ... لا تقطع عيش هذا الطاهى المسكين... إنه رب أسرة ... أما أنا والبنت فكلانا فداء لراحتك ... خيرك. يعمنا دخلما الدار أو لم ندخل ...

وشعر سيد الدار بقواه تتجدد، وبعرمه يتشدّد، فاستطاع أن يقول في شبه صيحة:

لا ٠٠٠ لا ٠٠٠ إنه مطرود بلا رجعة ١٠٠٠

فما زال به الشيخ متوسلا يقول :

العفو من شيم الكرام ... أين يذهب الرجل إن تخليت عنه؟ ليس فى غُنية عنك ، وما فى مقدوره إنكار معروفك ... لا ينكر المعروف إلا كافر محمَّود ... لقد كان قبل خدمته لك بائس الحال ، فأطعمتُ وكسوتَه ، وبدّ لته بالبؤس نُعمى ... إنه مَدين لك بالحياة ... إنه ...

بشنواظ عينيه :

حسبك يا شيخ حسبك ... ما هذا الهرّ ف ؟

فاستدار نحوم والشيخ عربان ، قائلا :

أتنكر أن سيدنا البك جعلك إنساناً عق ؟

ــ أنا إنسان منذ خلقني الله ...

ــ أقبل رجله ٢٠٠٠ ما هذا ٢٠٠٠

فاشرأب والشيخ عزان ، متنمراً ، وصاح ثارًا :

إنه ولى تعمتك ... طأطئ رأسك ، واركع أمامـــه واستغفر ...

ـ الركوع لله و حده ...

فصلب الشيخ قامته ، ووقف أمام الطاهى وجماً لوجه ، وقب ال

اتق الله يا رجل ، واعرف لسيدك واجبه ...

ـ من الذي يجب أن يتقي الله ؟ ... أنا أو أنت ؟ ...

ـــ أنا رجل لاهمَّ لى إلا تقوى الله ، وعرفان جماِله ، والإِقرار بغضل ذوى الفضل . . . - بل إنك لا همَّ لك إلا الاحاديث الفارغة التي تلتمس بهــا التسكع في بيوت الناس...

ـ أمتسكع أما أيها المخبول؟

ـ بل إنك شيخ فاسد مملوء القلب من مكر وخداع . . .

فالتفت د الشيخ عربان ، إلى د محمد أفندى ، وبدت عل وجهه المسكنة و الاستغاثة .وقال فى لهجة المتباكى :

أنا فاسد ماكر خد"اع؟ ... لابأس ... لابأس .. إنى رجل تجمعت في كل خصال السوء ... لا بأس 1

وسمابطرَ ف مندیله إلی عینیة یمسحهما ، وواصل حدیثه مخاطباً د محمد أفندی ، فی صوت متخاذل :

إنى مسامحه لوجه الله ... وأضرع إليك أن تعفو عنه ... إنه رجل مسكين ذاهب العقل ، ليس عليه فيها يقول حَرَّج . . . واقترب من د محمد أفندى ، وأخذ بحاشية معطفه ، وقال : أستحلفك بالله أن تعفو عنه ...

فصاح الطاهي محندًا مستنكراً لما يسمع : وإن لم يعف عني فاذا يكون ؟ ...

فانتفض والشيخ عزبان ، وأقبل على الطاهى يسدّد إليه نظرة حامية ، وصاح : يكون أن يَخرّب بينك ، وتصبح فيه كالكلب الجائيم ... فامتدت يد الطاهى إلى مُخمَنَّق الشيخ، وأخذ بتلابيبه ، رهو يقول : '

الكلب الجانع أنت يا وقع ···

وسرعان ما آختلط الصياح، وتشابكت الآيدى، وتفارعت اللكات ، و «محد أفندى، لا يزيد على أن يرقب المحركة محملق. العينين فى ذهول و و جيف ... يريد السكلام فترتمش شفتاه ، ولا ينطلق له صوت. ويحاول الحركة فتختلج أوصاله، ولا يستطيع أن يتقسدم خطوة ...

يا كه من هذه المعركة العصيبية التي يخوضها و محمد أفندى ». الآرني ا

إنها موقعة فاصلة يتقرر بها مصير سلطانه فى الدار ... هل ينتصر، أو تكتب له الهزيمة ؟.. أيكون هو السيد المطاع ؟... أم نكون لهذا الطامى المستبد سلطة الآمر والنهى ؟

و تدفق حشد من أهل القرية يستجيبون للصياح ، فانتحبوا الدار ، وما لبثوا أن فرقوا بين المنلاحمَــيْ ن ، وأقبل رَ همل منهم على ، محد أفندى ، يحييه فى تجلة وإكبار ، ويسأله حَجليّـة الحبر . وكان الرجل يتفصد جبينه عرقا ، وهو جامد فى مكانه ، كأنما شدت

إليه بأمراس ... واستطاع بعد لآى أن يملك زمام وعيه ، وألنى نفسه يقول فى صوت أتج :

صلوا على النبي .

فارتجت أرجاء المكان استجابة له ، وأشرِ عت إليه الاعين، واحتبست الاصوات استشرافاً لما يقول .

وشعر ، محمدأ فندى، بالعزةو الإمرة ، وألنى نفسة فىمقام السيادة بين الاتباع ، فقال :

هذا الطباهي مطرود منذ اليوم ...

وأراد أن ير دف هذه الجملة بأخرى ، فلم تسعفه القريحة بجديد . واضطدر أن يختم خطبته بقوله :

انتهى الأمراس

17

وأظل الدارعهد بحديد ... عهد استقرار وطمأنينة وسلام ... المطهى مباح لرب الدار ، يقضى فبه من وقته ما اشتهى، وأرجاء الدار طوع صوته يرجشها بما شاء من صيحات الهيمنة والتأمر ، وحفيدة الشيخ تفدو وتروح مذعنة تلي مطالبه فى غير و ناه . والصينية تزخر بشتى ما تهفو إليه نفسه من مشهبات وخمصتر ،

يتوسطها ذلك الطبق العتبد الذى تتشايخ فيه أركان الأرانب على حشايا الرزّ المسمون ... و «الشيخ عزبان ، يختلف إلى الدار فيقسرا ما تيسر من آى الذكر الحكيم ، ويعليل جلسته إلى و محد أفندى ، يزف إليه المكرّر من مديح الملق والزّاني .

وكثيراً ما يدعوه ومحمد أفندى ، إلى ملاعبته بالنشر د أوالورق، فلا تنتهى الملاعبة إلا بهزيمة الشيخ على الدوام ، وصياح رب الدار بالتهكم والسخرية ...

فأذا مال ميزان النهار ، تهيأ الشيخ لمضادرة الدار مصطحباً فتاته ، وقد تأبط صُرَّة عامرة يحاول أن يخفيها تحت عباءته ... ويوما ضاقت معدة ، محمداً فندى ، بأمرها ، فأعلنت العصيان، وما هي إلا أن استوطن الرجل فراشه يحاول علاج الحال و عُمنى به دالشيخ عزبان ، وفتاته ، فلم يألثوا جهداً في تمريضه وتدبير شأنه وإسعافه بالاشربة المدفئة . ولازمه الشيخ يؤنسه بالنوادر والطرف ، وماذال كذلك حتى انسدات أستار الظلام ، فهم الشيخ بالانصراف ، ولكنه كان يتباطأ ويتلكا ، وأخيراً أقبل على ومحمد أفندى ، يقول :

ليس بهين على أن أتركك . . . سأبيت الليلة تحت قدميك ،. ساهراً عليك . . . أما البنت فإنها تظل فى خدمتك ، رهن إشار تك .. وانقضت الليلة في سلام . . .

و توالت الآيام تسجل لزوم الثسيخ وفتاته للدار لا يبرحانها ، وهما دائبان فى خدمة و محمد أفندى ، متأنقان فى تأدية مراسم الولاء له ، والاعتزاز به .. فازداد رب الدار استشعاراً لعظمته ، وثقة بنفسه ، فكان لا يهدأ من صباح و تأثمر ، ولا يشك فى أنه مُلاق سمعاً وطاعة

14

وعلى سر الآيام استطاع الشيخ و فتاته أن يظفر ا من رب الدار يمو فور التقدير ، فهو يطمئن إليهما فى خاصة شأنه ، و يعول عليهما فى الجليل و الدقيق من أمره . . . وكان ذلك سبيلا إلى أن يحتل الشبخ و فتاته مَخرِن المئونة ، فيتخذاه محلهما المخنار . .

و دت على الفتاة مخايل النعمة ورغادة الديش ، فاعتمال توامُمها و تورد وجهها ، وترنحت أعطافها من امتلاء .. فكان محسب أفندى ، يسترق النظر إليها ، باذلا جهده فى التخفي والمساترة ، ولكن الشيخ الطيب لم يكن يعز عليه أن يتصيد تلك

النظرات المخالسة ، وأن يكتنه ما لها من غُمَوْر . فكان يخلو إلى حفيدته يُسر إليها الحديث، وكأنما هو يرسُم معها خططا ذوات بال'...

ور اليت الفتاة معنية بهندامها ، حفية بزينتها ، فإذا قدمت بالقهوة إلى ، محمد أفندى ، قاربت من خطوها ، وغضت من بمرها ، وفزعت إلى خمارها تسبله على جانب وجهها ، ولكن الخار لا يلبث أن يسقط ، فيبدو شعرها قد ترامت صفائره ، وعلى جبينها قد انعقد منديل موشى الحواشى ، مختلف الآلوان . فأما وجنتاها فإنهما تنضر جان كأنهما قد أدركتهما صبغة الحجل والحياء ، وأما عيناها فتظهر ان كيلتين ، لا تدرى أمكحولتان هما بأثيد ؟ أم هذه صبغة الله ؟ ا ...

و إن الفتاة التسارع إلى خمارها تلتقطه، وقد اختلط في قسماتها الإضطراب بالابتسام . ويتضاحك د محمد أفندى ، وهو يقول :
رالها من فتاة ساذّجة ١

و توالت الآيام تزيد من خلوات الشيخ بحفيدته ، وبين يوم ويوم تتجلى نتائج هذه الحلوات ...

و بينها كان و محمد أفندى ، ذات ليلة مضجعاً على مُتكثه ، بعد عشائه ، وقد رنّق فى عينيه الوكسن ، طرقت الفتاة حجرته تحمل صينية القلل ، وكانت كشأنها الجديد بادية الزينة ، متضوّعة العطر . فجازت برب الدار صامتة خافضة البصر، فثابت إليه يقظته ، وجعل يرقبها و ثاب النظر ات ...

ولما أقرت الفتاة الصينية في مكانها من النافذة ، وهمت أن تعود ، عاجلها د محمد أفندي ، بقوله :

اسقيني يا صببة ...

فأحضرت له القلة ، يفوح منها العسق ، فأخذ يترشّف منها ، وعيناه تراوحان الصبية و تغاديانها ، و بخور القلة بمازج عطر الفتاة ويزدحم على خياشيمه ... وما كاد يناولها القلة حتى همهمت في صوت حنون :

هنيئــــا ...

وْقبل أن تغادر الحجرة . قالت له كاسرةً من طرفها :

نوم العافبة يا سيدى ا

فشكر لها ومحمد أفندي ، رقة عاطفتها . ومخايل الغبطـــة

وتقلب الرجل على مشكئه ، وهو يجاهد أنفاسه ، ثم انسرح في آفاق شتى من الآخيلة ...

ما أعظم الفرق بين صبايا الريف ونساء المدائن 1 ... صبية الريف مؤدبة مهذبة ، ساذجة طبيعة ، طبية القلب نقيسة ... أما الآخرى ، والعياذ بالله ، فقد عرفها تجمعها المشرور والآثام : خبث نفس ، وطول لسان ، وجنون خيسكاء 1 ...

وفى الأمسية التالية كمن و محمد أفندى ، فى متكنه ، يترقب صينية القلل .. وما إن أقبلت الفتاة تتخطر ، وعلى أعطافها يتهدل خمارها الهفهاف ، حتى سارع الرجل إلى طلب شربة ما. . فلما نقع غلته أانى نفسه يقول اللفتاة :

حقاً إنك بنت حلال ، وإنى لراض عن خدمتك ...

فجثت الفتاة من فورها على يده تلثـَمها فى خشرع. ثم طفقت تمسح من عينيها أنداء من دموع ...

فنظر إليها دهشا مهتاجاً يقول :

ماذا يبكيك يا صبية ؟ ...

ــ أبكى من فرط ما ألقاه من عطفك يا سيدى ١٠٠٠ لم أكن أعرف أن فى الدنيا أحدا يحمل قلباً مثل قلبك الكبير ... إنك

تأسر بمعروفك النفوس ...

- حسبُك ... حسبك ...

- قسماً برأس جدى إن ما أقوله هو الصدق الخالص ... ما ذاق معروفك إنسان إلا فنى فى خدمتك ... أنا وجدى ننزلك من قلبينا أكرم منزلة ... نكبرك ... نجلك .. نعزك ... نحبك الحب كله ا...

ثم عقد لسانها التلعثم والارتباك ، فحنت رأسها ، وأسبلت خمارها ...

وشاعت الابتسامة على محيا الرجل، واهتزت أوصاله، وهمهم: إنى مصدقك . . . وإن حبك أنت وجد لك ليس بخاف نني . . .

فرفعت الفتـــاة رأسها شــرقة بدمهها، وهي تقول في حرارة واهتيـــــاج :

أطال آلله عمرك ، وزادك عافية وعزة ، بحق جاه النبي و آل بيته . . . دعوة من القلب تتغتج لها السماء ! . . .

وندّت من الفتاة تنهدة حافقة راعشة ، ثم انحنت على ، محمد أفندى ، تلثم حاشية جلبابه ، وانفلتت تغادر الحجرة مهرولة ؛ كأنما لا تقوى لخجاما على أن تطبل البقاء . . .

ونهض و محمد أفندى ، يَذُرَعُ الحجرة بطى الخطو ، ثقيل الحركة ... إنه لم يستطع أن يظل على متكنه ... ما أحوجه إلى أن ينفسّس عن نفسه ا ...

وعلا يصدره منتفخاً ، وقد استنار وجهه . . .

لقد يَرح الحفاء ...

لقد وقعت الفتاة في شرَّك هو اه ...

كل حركة منها تنم عن هذه الحقيقة الصادقة : صوتها الحنون ، نظراتها الجيّـاشة ، دمعها المطواع ، حديثها الفوار ...

وألني , محمد أفندى ، نفسه يتزاحف إلى المرآة ... أليس الشبَح الماثل أمامه صورة رائعة من الرجولة الكاملة ؟ ... عيبة وجلال ... طلعة مشرقة ... عين نفاذة ...

وانتفش الرجل مزهوا يفتــل شاربه الغليظ . . .

مسكينة هذه الفتاة ! ...

ما أبينَ عذرها في التعلق بمثل هذه الشخصية الجبارة 1

وتابع سيره فى الحجرة هين الخطوات ، وقد جملت أشتات الحنو اطر تتداعى فى مخيلته ...

أما أن الفتاة له عاشقة ، وبه مدلهة ، فذلك أمر فوق الشك والحلاف ١٠٠٠

ولكن ما شعوره هو يحوها ؟ ...

شعوره كسي

أَفِى المُعَفُولِ أَنْ يَفَكُمُ وَ مُحَمَّدُ أُمَنِدَى مَ رَئِيسَ مُخَارَنَ وِزَارَةَ الْمُعَالَةُ الْأَسْبَقِ فَي أَنْ يُأَذَّنَ لَقَلْبِهِ أَنْ يَخْفَقَ لَمُثَلِّ هُــَــَدُهُ الْفُعَالَةُ اللَّهُ نِيا؟ ...

أو ينسى أنها عاشت وما زالت تعيش فى كفالة جدها القارى... ذلك الذى يتقوت من نتات المقابر، وفُسُطالات الموائد؟...

وما شأن قلبه اليوم بالغرام والهيام ٢٠٠٠.

لقد فرغ قديما من سلطان ذلك القلب وإذلاله 1 ...

إن الرجل البوم سيد نفسه ... هيهات أن يدع لقلبه مجالا للتمرد والتحكم و الإملاء ا

وما قيمة المرأة فى نظره الآن؟

الله انبت ذلك العهد الذي كان فيه ينقاد لسحرالنساء ، فأصبح الساعة مر الساحر ، وهو المعر المذل ا

ولكن مالهذه الأفكار والخواطر تندّاعى في رأسه حين يفكر في تلك الفتاة الساذّجة العَـطوف؟

ليس فى الامر مطّمع فى أن يقابل حبها بحب. . . إن خطبها اليسير . . . لا ريب أنها جديرة بلون من العطف والتقدير ، لقاء ما

تبذل من خدمة ، وما تُسكن من إخلاص...

وعاد إلى المرآة يطالع فبها محياه ، ويفتيل أمامها شاربه ... وبعد فترة من الزمن شوهد الحلاق يختلف إلى منزل «محمد أفندى ، يعنى برأسه وذقنه وأظفاره مستعيناً في عمله بألوان العطور

والدهـان. . .

ولوحظ على رب الدار أنه حريص على أناقته ، يَهبها طويلا من وقته ... فإذا تنقل فى الدار مشى فى تخطر ، وإذا تكلم كان كأنه يترثم ، وإذا تحدث إلى « الشيخ عَزَبان ، خلط حديثه بالدعابات والافاكبه ...

أما صلته بالفتـــاة فـكان يتغشاهـا غموض حائر ، وصمت قلق . . .

ولم يكن بينهما من الحديث إلا تبادل كلمات مألوفة ، عليها صبغة الرقة والتلطف .

وظلت الفتـــاة منطوية على نفسها ، ولكنها كانت فى الفينة نُخالس ربّ الدار خواطف النظرات ، ونواعم

التنهدات . . وماكانت تغفّل ساعة عن تعهد نفسها بالنزين والتعطر 1 . .

10

وتو اردت أيام على هذا النحو ، ثم بدا على « الشيخ عزبان » طارى. من وجوم وسهوم . فكان إذا جلس إلى « محمد أفندى » بدا كأنما يتهيأ الإفضاء بأمر يكشف عماية تلج فى نفسه من قلق ... ثم لا يلبث أن بنظ هر بالنكوص و تلافى الحديث ، والعدول بالكلام إلى مجرى آخر ، فيسأله « محمد أفدى » :

ماذا يريد أن يقول ؟

فيعتذر الشيخ بأعذار مختلفة ، ويعتل بأشتات من العلل ، وتأخذ علائم السهوم والوجوم مكاتبا من قسيات وجهه ، كا كانت من قبل .

وآن للشيخ أن يضع حدًّا لهذا التمهل والانتظار ... فقد ضاقت تفسه بذلك الليل الغامض البهيم الذى أبطأ انبلاج ٌ فجره ، أو لعل الاحرَّى بالقول أن الشيخ قد أحس ٌ أن الموضوع قد نَـضيج ، وأن النمرة قد أينعت ، وأنه قد حان القيطاف !

وأقبل صبح يوم يجرجر جسمه المهزول، قاصداً مُستشرَف

الدار لیَـلقَ ، محمد أفندى ، وهو مضطجع على أریكته . یسبح فی ملـكو ت الله ...

واتخذ مجلسه غير بعيد منه ، وجعل بجمع بعضه إلى بعض ، ويلملم ما انتشر من أطراف عباءته · · ·

شم طأطأ رأسه لحظة وانهال على يديه يفركهما فى اضطراب ، فقال له ، محمد أفيدى ، :

خيراً يا . شيخ عربان

فمكث الرجل خافض الرأس، وهمهم في صوت متخاذل:

لقد حضرت في أمر أرجو أن تعيني على تحقيقه ...

ـــ لك ما تريد , يا شبخ عزبان

ــ لقدلقینا من برك وكرمك فیضاً لاننساه ماحَـييـِنا ٠٠٠ و إنى أطمع أن تتم جمبلك بفضل جدید ٠٠٠

_ طلك مجاب.

ـــ تـــمح لى أنا وحفيدتى أن نبرح الدار ، وأن تعفينا من واجب خدمتك ...

فالتى عليه ، محمد أفندى ، نظرة فيها الدهش والتعجب . وهمهـــــم :

تترکان خدمتی ؟ . . . ماذا جری ؟ . .

غاشر أب الشيخ ، ورفع يديه إلى السماء ، وعو يقول صائحاً : قسما بالله السلم المظيم إنى مارغبت إليك في عمد لما الآمر إلا بالرغم منى ... ولو خيرت ما اخترت إلا أن أظل بقية أيامى تحت قدميك ، حتى أتضى تحشى ...

فاختلجت عين رب الدار وهو يقول :

لم أفهم شيئاً ... لماذا تنركاني إذن ؟

فصلب الرحل قامته جهد ما يستطبع ، وقال وهو يُزيغ بصره عن جليسه :

أنت سيدالعارفين، وفى فطنتك غُـنْ يَــة عن الشرح والإيضاح اللهم اشملنا بالستر والسلامة 1

وا تحنى و محمد أفندى ، على شاربه يفتله ، محاولا أن يتفطن للأمر ، حتى يكون سيد العارفين بحق ، وحتى يكون الفطين الذى لا يفتقر إلى شرح وإيضاح ...

ولكن الشيخ أسعفه بقوله :

ليس في المستطاع أن أدع البُنَيَّة َ في الدار بعد الآن ... حسبها ما انتهت بها الحال إليه ...

وأراد « محمد أفندى ، أن يتكلم ، ولكن خانته بديه ، في وأراد ، محمد أفندى ، أن يتكلم ، وسمع الشيخ يتابع قوله ؛

سأزوج البنت رجلا اخترته لهـا . . . رجلا من بيثتنا ، ملائماً لنــا ...

وتهدج صوتُ الشبخ ، وهو يقول مهتاجاً :

لارغمنها على الزواج ، رضيّت أو أبنت ... أما ما تسميه قلبها فإنى سأسحقه سحمًا ... عجيب أن يجمح الحيسال بتلك البنت الغرررة إلى ذلك الآفق البعيد ! ...

ثم صوّب نظره ، كأنه يستمدّ من السماء عوناً في مأزقه الحرج ...

وما لبث أن أقبل على رب الدار هابطاً على يده يُسنديّهــا بدموعه، وهو يقول:

عفوك إن كنت فى ثورة نفسى قد أسأت إليك من حيث لا أريد ... اشملنى برضاك ، ودعنى أفر بالبنت إلى مصيرنا المقدور ...

وما هي إلا أن انصرف الشيخ عجلانَ الحظا 1 ...

17

يا لها من ساعة دهياء ، قضاها ، محمد أفندى ، يتقلب على أريكته لا يستطيع بَراحا ، ولا يجد من ضيقته فرجاً ...

انفرد . محمد أفندى ، فى الدار يومه الاطول يَجَتَرَّ همـه ، ويعانى وحشته ...

ولما عضَّـه الطوَّى دبِّر له طعاماً كما اتفق ...

وألحت عليه شهوة القهوة ، فلم يستطع بعد َلَاى َإِلا أَن يُـعدُ عَدِّ قدحاً ليس بالسائغ ...

ولم يلبث و تحمد أفندى ، أن شعر بأن وسائل راحته تجشمه ضروباً من المكلفة والتعب ، سوا. فى مشربه ونظافته وتنقله ... فإن سمت نفسه إلى شى، شق عليه أداؤه ، وحسسب له أسر حساب!

فلما جَن الليل تكاثفت عليه الوحشة ، واشتد به الصيق ، فترك مُستشرَف الدار ، منتحيا حجرة النوم ، وجاز بالمرآة ، فقر الدار ، منتحيا حجرة النوم ، وجاز بالمرآة ، فقر المراة على تجامها لحظة ، فارتاع مما وضح له من سَحنة غبراء كاد ينكرها وألني شار به الغلظ قد تدلدل وتهلهل ... فأدر عن المرآة يقد ينحل ، وتهالك على المذكم تتقاذفه الخطرات ...

حُسق للمجدُّ أن يفمل ما فعل ...

إنه يريد أن يقف تلك العاطفة الجنوح التي استبدت بالفتاة ... إن الشيخ لاحزم عقلاً ، وأنور بصير دّمن أن يتطلع إلى تدبير غير هذا التدبير ... لقد نَـَـَـَّـر فَى تَرُويج حَفَيدته تُخْصَاً آخَتِر ، كَبُـْءَمَا لِمُناسِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ اللهِ ضوع ...

ما أكرم أشُلق الشيعة ، ومَّا أنبل نفسه ا

إذن ستُمنَّ فَّ الفتاة إلى رجل لا يهفو قلبها إليه...

و يُتفايل أمامه طيف الفتاة ناظرة إليه في وَجَدُ وَاسْتُرُ عَامُ يُـ مَازُ جِمَا حَيَاءُ وَطَهْرُ ...

وَ صَعَد الرجل تنهدة عميقة لم يطن لها كبتا....

و تلاحقت لناظره مشاهد من حياة الفتاة فى داره ، فرآها فى كن الأرانب رشيقة كالظبى ، فرحة مرحة ... ورآها وهي مرحنة السمع ، لا يكاد يلفظ من قول إلا سارعت إلى تلبيته ...

وهل ينسى مقدَ مُنْهَا في الأماسيُّ بصينية القلل يَضُوعِ

وهل ينسى تلك الابتسامة الوديعة الحبيبيّة التي تودعه ﴿ اللهُ عَيِيهُ تَحِيهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَل

بنوم العافية يا سيدى 1

وزفر ومحمد أفندى، زفرات متلظشية ، ثم استرخى على متكئه ، وترك للافكار عنائه تطوّح به ، حتى أسلمه الإعياء إلى المنام ... وَ بُسكرَ تَ قَدِم مَ الشَّبِخُ عَزِبَانَ ، الدَّارِ يَقَفُوهُ ذَلَكُ الطَّاهِيُّ الْحَامِيُّ الْحَامِيُّ الْحَرْمِ ، وقد تبدت على أساريه ذلة ومسكنة ، فأقبل كلاهما على مُشتد أفندى ، بحييانه تحية الإصباح .

قرب وقبل يدمو لاك، فإنه سمح النفس غفور ...

ولم یکن « محمد افندی ، قد أعد لهذه البغتة عُده من تدبیر ، وأحس بالطاهی برکع بین یدیه ، وهو یهمهم بکلمات الاعتذار والاستغفار .

وسرعان ما أفلت من فم سيد الدار كلمة الصفح الجميل ... وما كاد ينطق بها ، حتى ثاب إليه وعيه ، فراجع نفسه وكأنه . يلتمس المنفذ إلى استدراك ما أفلت ، ولكن الشيخ أخذ عليه الطريق ، مخاطبا الطاهى بقوله :

ألم أقل لك إن سيدنا البك رجل لا يحمل فى قلبه حقداً ولا ضغينة ، وإنه أسرع إلى العفو وأقرب إلى الرحمة ؟ قم فاضطلع بعملك ، وأقم الدليل على أنك أهل لهذا الرضا الكريم ... والني و محمد أفندى ، نفسه يصدر أو امره إلى الطاهى . فيناتها ها الرجل في أدب وإذعان ، بيد أن هدا الإذعان وذلك الأدب لم يدوما طويلا ، فقد عاودت الرجل صلابة نفسه ، وحد ة طبعه ، وشدة مراسه ، حتى إن رب الدار آلى على نفسه ألا يقرب المطهى ، لينجو من سلاطة ذلك الطاهى الحكرون ...

وطغت على الدار تلك الروح السابقـــة ، روح التزمّـت والفوضى ، حيث لا راحة مكفولة ، ولا أنس شامع ، فكان. وعمد أفندى ، يقطع نهاره الممدود تملولا فى مستشرف الدار ... ومما جا، ضغّننا على إبّالة أن «الشيخ عزبان ، قطع عن الدار زوراته ، وأناب عنه فى تلاوة القرآن غلاما زرى الهيئة : كأنما هو صعلوك شريد ... فكان يرفع عَـقيرته بالقراء ذ ، ويهز قامته هزة عنيفة ؛ كأنه دُمبة شائمة ذات لواب ، لا تهدا لها حركة ، فيضيق به رب الدار ، وتثور فى نفسه ،شاعر الاشمئزاز ...

وإذا أقبل الطعام مدّ الغلام إليه عينيه الضاريتين يرقب يد محمد أفندى ، وهى تعالج اللقمة حتى تسلما إلى فه ، وكأن هذا الغلام يعدّ على رب الدار ما يزدرد من لـُقات ... وياويل ومحمد أفندي ، من الليل ...

إنه يهبط حاملا إليه ضروب الآرق والوحشة والاكتئاب... وعبثا كان الرجل يحاول التزلف إلى النوم بمختلف الوسائل، وطالما طرقه طيف الفتاة فى غدو" ورواح ، وعلى محياها حزن وتحسر ؛ وكأنما هى تستغيث به ، طالبة منه العون ا

إنها تتضرع إليه أن ينجيها من دلك الزوج الذى فرضه جدّها عليها فرضا ، وأرادها عليه حُمّا ...

و لكن أنيَّ السبيل إلى النجاة ؟

كيف له أن يُـبلغها ما تصبو إليه ؟

نحن في الريف ، لا خيرَة للمتاة في من يكون زوجها ...

لو تمنعت و تأبت ، لعند ذلك عليها عاراً أي عار ...

لامصير لها إلا" هذا المصير ، ولاسبيل إلى دفع ذلك المقدور... ستتزوج لا كالة ، وإن لم تحمل الزوجها أثارة من حب ... لقد وهبت قلبها رجلا آخر ، رجلا تراه مصروفا عنها ، غيرً معنى " بأمرها ...

ما أقسى قلبه ، وما أغلظ كبده ا

وفزعت يد د محمد أفندى ، إلى مروحته عن كشب ، فتناولها ثائر الاعصاب ، يروح بها وجهه المتضرم ، ويلتمس منها مدداً لانفاسه المختنقة ، ولكنه لم يملك أن يصرف عن خاطره التفكير في شأن هذه الفتاة ...

لن تحبّ الفتاة زوجها ... وكيف يستطيع ذلك القروى الأغلَف إسعادها ، بعد أن عاشت فى كندّف و محمد افىدى ، فترة ، فاقتبست منه شمائل الحضكر ، وأ لِفكت منه رقة المعاملة وأدب المعاشرة ، ولين الحديث ؟

مظلومة هذه الفتاة التي أقصيت عن هذه الحياة الحعصرية . وتُذف بها في جحيم لا تطاق ا

وصابر م محمد افندى ، هذه العيشة التي يعيشها أسبوعا و بعض السبوع ...

أحكم عليه القضا. بأن يظل بين هذا الفلام الفرج ، وذلك الطاهى العسطب : يزعجه الأول بصوته المسكر ،ونظر اته المنهومة، ويلك عليه الآخر زمام مَطْهَاهُ ، ويغدو حاكماً بأمره فيه؟!...

وفى بخوة يوم شوهد رب الدار يتركها بمد خلوة مديدة بالحلاف . ذلك الزائر الذى كان قد انقطع عن الدار منذ فترة ... خرج ، محمد أفندى ، فى حـُـلة قشيبة ، مفتول الشــارب، مُـطرًى الشعر، تتخطر فى يده عصا مفضّصة ...

وقادته خطاه إلى كوخ « الشيخ عزبان ، فألفاه على المصطبة متربع الجاسة ، فما إن أخذته عين الشيخ حتى انفتل قائماً ، يجاهد فى لم " شعثه ، وصلب عوده ، وما أسرع أن فاض لسانه بالترحيب المكرر:

أهلا وسهلا ... أشرقت الانوار ...

وانهمك على المصطنة ينظفها ويسوى عليها الحصير ، ويمهد مجلسها للزائر الاعر...

ثم انبری یصفق صائحا :

قهرة يا بنت لسيدنا البك . .

وما إن استقر المقام و بمحمد أفندى ، حتى استشعر العرة والرفعة ، فجلس جلسة الإمارة ، وقال ادالشبخ عزبان ، :

كيف الحال ؟ ...

- ۔۔ أى حال؟ لفدكنت مُسوشكا ۖ أن أموت ا
 - ــ تموت ؟ كيف ؟ -للامنك ١
- سلبك الله . . . او لا لطف الله اسكنت الآن معز" يا في ا
 - لقد أحسست أنك متعتب ...
 - -- قلب المؤمن دليله يا سيدا البك ...
 - **—** قلت أزوره لأعلمتن . . .
 - ـــ أكرم الله مقامك . ووفر طمأنينتك ...

وتلفّست د محمد أفندى ، حوله ، يرقب الآكواخ والمسالك ، ثم قال :

ما أحوج هذه القرية إلى جهاد موصو ل لإصلاحها و تنظيمها... من أجل هذا تركت والقاهرة ، ، وآثرت المقام هنا... إن مدّ الله في عمرنا بذلنا مافي و سعنا للتعمير و الإصلاح !

ــكنا ندرك فضلك ، ونشكر معروفك . . .

وانقضى وقت يتبادل فيه الرجلان حديث القرية، وما تتطلب، من أسباب النهوض . .

وأسفر بباب الدار مُنحَنيًّا لمَنَاح فو الحبرينته وعطره... يحيا الفتاة تحمل صينية القهوة ، فانتظمت ومحمد افندى، اختلاجة اطالت به ، فدسسا دنت منه الفتاة خافضة البصر ، ابتدر لله تحبيه ، وتمد

يدها . فترك لها يده تلتُّ مها ، وهمهم :

كيف أنت ؟ ...

فأجابته فى صوت متلعثم :

ما دمت بخير فالحمد لله على كل حال ...

وما لبثت أن رجعت أدراجها إلى الدار ...

وأظل المصطبة صمت ثقيل، وكان الجدُّ ينكُنُثُ الآرضِ بعود يابس بين أنامله...

وأراد م محمد أفدى ، أن يستنجد بمشروعات الإصلاح للقرية المكشف عن المصطبة حُسجب الصمت ، فلم تنجده بشيء ، فأخذ بسعُــل ويتنحنح .

وأخيراً قال الشيخ حازم اللهجة . وما زال يعبث بالعود : غداً عقند زواج البنت ...

فأخِيدُ د محمد أفندى ، بما سمع ، وجمجم فى دهشة :

غداً ؟ ... غداً ؟ ...

ــ خير البر عاجله يا سيدنا البك ...

فقال و محمد أفندي ، في سهوم :

حقاً ، خير البر عاجله

ثم تقلب في جلسته وقتاً . وقال :

سمس منائر أن البدس غير راضية عن هذا الزواج...

. ابس ذلك بمهم ... راضية أو غير راضية ا

مِنْ الشيخ برأسة ، وسرح بيصره في الأفق ، ثم قال كأنما

: (3 - 4)

أدا من ناحية البنت فإن دمعتها لم ترَقاً منذ نبتت فكرة الزواج ا...

.. حرام عليك أ ٠٠٠

__ هذا هو المقسوم ٠٠٠

و تکاثرت حرکات و محمد أفندی و فحرة یُمر یده علی جبهته ، وحینا یهرش رأسه ، و تارة یهر قدمه وطوراً تنبعث من صدره زمزمة و هر پر ...

ويمالج أن ينبس بقول، فلا ينفتح له شي....

وطال الصمت الجيّاش، وكان الجدمهمايو اصل العبث بالعود ووجد و محمد أفندى ، نفسه يعتدل فى جلسته، ويسدّد إلى الشيخ نظره، وقد انفكت عقدة لسانه، فقال مندفعاً :

صل على الني ...

فرفع الشيخ هامته، متوقعاً أمراً جللا، وقال: اللهم صل عليه.

.. وأيعنا سل على النبي.

ــ ألذ ، صلاة و سلام عابك با ني ا

.. خاتين طال بالله لل

وتراءى الدينخ في دهشة مصنوعة ، وهو يقول :

حفيدتي أماك

... القد سمسين ما أقول ... أنا خاطب إليك فتاتك ...

فالدفع الشيئغ يدعك يديه إحداهما بالآخرى ،وهمهم وفد حمني

وهل نحن نسمو إلى هذا المفام؟

ــ لند استخرت الله، وعليه الاتشكال ...

۲.

لم تتو ارك أيام ، حتى كانت الفتاة زوجاً ، لمحمد أفنــــدى ، تعشر داره . . .

وانقصت الفترة الأولى كأنها حلم جميسل ينعم به الرجل ليل نهار . . .

لقداً النصر عرورُساً لفتاة غضة تُزُهيه بشبابها النصر، وتنعشه عمل تشيعه من بهجة وميراح وتعزه بما تبديه من ملاينة وملاطفة

وطوع، حتى إنها لم تكن تستنكفأن تمتهن بعض ماكانت تقوم به قبلا فى خدمة الدار . . .

فضاق « محمد أفندى ، ذَرَّعاً بذلك التواضع . وأصدر إلبها أمره أن تكف عن هذا الإمتهان ...؟

كيف تبيح زوجة ربالدارلفسها أن تبتذل كرامتها وكرامته بمزاولة الوضيع من شئون الخدمة ؟ ...

آن لها آن تترفع عن ذلك كله ، وأن تـكون سدة الدار المخدومة ، وليس ذلك إلا بعض الجزاء لتلك التى أخلصت لرجلها ، ووهبته قلبها الفتى النتى ا

لقد مست الحاجة إلى خادم يقوم على مرافق الدار ، فوقع الاختيار على الغلام ، تلك الدُّمية اللولبية المسكريَّة الصوبت ... فمل الغلام أعباء الحدمة المنزلية ، متوَّجة بهذه الآو امر والنو اهي يصما على رأسه رب الدار في الغيدُوات والرَّوْ سابت ...

وعرض والشيخ عزبان ، نفسه ليستأنف تلاوة القرآن في مستشرف الداركل صباح ، فتصدًّى له و محمد أندى، يأبي عليه القيام بهذا الامر ...

كيف يسوغ لرب الدار أن يَدَعَ صهره يتتمد الارض ، ويمارس شأنا جرى العُمرُ ف باتخاذه موردَ كسب ؟ ...

و للشبخ عزبان ، أن يقرأ ما شاء كما شاء ... فأما الراتب اليومى المعين ، فيجب أن يُوكلَ إلى قارى آخر لقاء الأجر المعيد الم

وبعد جدال ونقاش استقر الرأى على أن يتولى الفلام تلاوة ما تيسّر من القرآن في الضحوات ...

وهكذا 'اجتمع على كتف الغلام ما كان يقوم به الشيخ من تلاوة ، وماكانت تقوم به حفيدته من خدمات ...

وألف ، محمد أفندى ، صوت الغلام ، فلم يصد يتبرم به ، وكثيراً ما كان يحلو له وهو على المائدة يصيب طعامه أن يستدعى الفلام ، فما إن يلبي دعوته ، حتى يقذف له لقيمات وأشتاتا من لحم ، فيلقف با الغلام خفيف الحركة ، كأنه قط منهوم ، فيبعث الرجل ضحكاته رنانة من أعماق قلبه ، ثم لا يلبث أن يعاجله بفيض من الشتائم ومرذول النموت ، فيتلقاها الغلام داعيا لرب الدار بطول العمر ...

وع ف الشبخ طريقه إلى مخزن المثونة ، فاحتله كسابق عهده ، واتخذ منه مصلاه ومرقده وملاذ راحته الامين ... وقد جاهر محدد أفندى ، بأنه إنما بؤثر المقام في هذا المكان على تقار ب أرجائه، حتى لا يكون في وجوده بالدار ما يضا يق العروسين العزيزين ...

وبندت من الشيخ حمية في ريماية مصلحة الدار وشهرنها ، وخص بوفور عنايته ذلك الطاهي الحرون ... يكبي بها منه ، برخص بوفور عنايته ذلك العاهي الحروان الأوامره معلى أن نلك لم يمنع أن يخلو الشيخ إلى الطاهي خلوات أنيسة ، يتطارسان فيها الحديث في ممس و سرار ، دون أن تنالهما الاسماع والميون ... طابت الحياة و لمحمد أهندي ، في ظل تلك الزوجية الجديدة ، طابت الحياة و لمحمد أهندي ، في ظل تلك الزوجية الجديدة ، ولكنه شعر بوطأة النفقات ، فلم يلقي لذلك بالا أول الامر ، وكثيراً ما حدث نفسه بأن الحياة إنفاق ، وأن للهناءة ثمنها ، وأنه ما دام كل درهم لايذهب باطلا فلا أسف علمه ...

وماذا كان يفعل «محمد أمندى ، حين ترغب إليه زوجه آنا بعد آن فى ملبّس من الحرير ، وحينا بعد حين فى حلية من الذهب ؟ . . أليس من حقها أن تظهر بالمظهر الملائم لزوج له مقام كريم ، ومكانة اجتماعية ملحوظة ؟ . . .

أو ليس من واجبه هو أيضا أن يرفعها إلى المستوى اللائق بمن تصبح له زوجا ؟ ...

21

وتجلت سيها الرفاهية على « الشبيخ ،زبان ، ، فأزهرت عمامته،

ملىلة الطيات، وتضرجت لحيته بصبغة الحيناه، وَخبُّ في قبائه القشيب، وجبته الفضفاضة مهدَّلة الكرِّين ...

وأدرك التغير صوته . فانقلب هزاله وخُـفوته قوة وجهارة ، وأصبح يصلصل في أنحاء الدار صليل الجرس الرنان ...

وكان و محمد أفندى ، يسمعه ، فلا يملك إلا أن يرضى بتلك الحركة الدائبة لمصلحة داره ، ورعاية شئونه . ولكن هذا الصوت المجلجل على الرغم من ذلك كله ينفذ إلى أعماق قلبه . يحمل إليها الحشية والرَّعَب ...

وأليف الشيخ أن ينام إلى ارتفاع الضحى، فإذا جاء ذكر هذه النومة الممدودة فى عُرْض حديثه لأهل الدار. انبرى الشيخ يتحدث عن تهجم و قدَطُعيه الليلَ تلاوة و تسبيحًا وصلاة ، فما يَسطُعُ مِالنوم إلا بُسيند الفجر ... ومن ثم اصدر أمره علنًا إلى الطاهى وإلى الغلام ألا يزعجاه مر نومة الغداة ، وألا يقلقا راحته بضجة أو صياح ...

وفى ضحوة يوم اشتبك الغلام والطامى فى حيوار . فما كاد يعلو صونهما حتى الفتح باب مخزن المئونة ، وبدًا الشيخ محمر" الوجه متسمر العين ، وثاب الخطا ، وفى يمينه عصا خير رانة ... وسرعان ما صب جام غضبه على الغلام ، منكراً عليه إفلاق و استه و إثارته من نومه ، وما هي إلا أن أخذ بدنشته ، و امال على جوانيه ضربًا بالمصا ، دون إشفاق ...

و بلغه و الجالبة سميم رب الدار ، فأقبل يستملل الأمر ، في الله ما شهد من صولة الشبخ وضراوته ... هذه أصابعه تتشبست برقبة النلام ، و تلك بده تعلو و تهبط بالسما ؛ كأنما يحركها عفريت من الجن ، وهاتان عيناه تحد حظان و يتوقد فيها الشر ... فأما الغلام فكأ بمامو دَجاجة بين يدى ذا بحها ؛ لاتملك إلا الحشرجة والانين ... وأى و محمد أفندى ، ذلك ، فأدركته بالغلام شفقة ، بيد أنه لم يستطع أن يقول كلمة ، وألني قدميه تتراجعان ، وصادفته زوجه في طريقه ، فهمهم يقول :

الولد جدير بالعقاب ... للدار حسرمة يجمب أن تأبر " يمي ... ولوحظ على رب الدار أنه يطيل مكو ثه فى الفراش صبحاً غير نائم ، فما يَريمُ السرير إلا إن جلجل صوت الشيخ هنا وهماك ... فيم التبكير باليقظة ؟ أليس لجسده عليه سنق الراحة قبل كل شيء؟!

على أنه ما يكاد يطرق سمعه صوت الشيخ ؛ سمّى ينفات من سريره كأنما انشسِط من عقال ، وفيك من إسار ... فبرز إلى مستشرف الدار ، مسرّيا عن نفسه المليُول ...

وأذنت الفتاة لنفسها أن تتدلل على زوجها و تتجنى ، ولم تلبث أن تغالت فى دلاها وتجنيها ، فكثيرا ما جاءت تجلس على ركبتيه تداعب خده بيدها الرخصة ، وإذا بأصابعها تندس إلى صدره ، فنغترف منه النقود ... ثم تقفز عن حجسره متضاحكه ، فإن غضب الرجل ورغب إلها فى رد ما غصبت إياه ، علت جصونها قاتلة :

أرني براعتك ... إن طلتني كان لك ما شثت ...

فيحاول اللحاق بها ، فنراوغه و تداوره ، حتى يأخذ منه الجهد كل مأخذ ؛ و يرتمى على المقعد منتفخ الأوداج ، مكروب الانفاس ، يحمجم حانقاً ، فتتظاهر الفتاة بالندم والتحسر ، وهي تقول : أحسب بتسني طامعة في أخذ عالك؟ إنك لاتفهم المداعبة 1 وما هي إلا أن تواجه كالغضري ، وهي تقول :

خذ نقودك. ولا تحنَّـقُ على ۗ ا

ثم تتدانی منه . وهی تغض من طرفها ، و تقلص من قسماتها ، فإذا جاور ته جلست صامته " بادیا علیها الجد والاغتمام ... فیفکر . محمد أفندی ، فی أمر للزوجة هنیهة ، ثم یشعر بما

عليه من تبعة فيما كان ...

إنه المساوم ...

لقد انقلبت الفرحة بسوء تصرفه تُسَرَّحة ، ولقد تغير المُواة الله من ملاطفة ومداعبة إلى مضايقة وانكسار خاطر . . .

إنها فتاة طروب لدوب ، يجب أن تساس بغير هذا العنف . وأن تحاسب على غير هذا النحو . . .

لقد أفسد الموقف، وعليه إصلاحه ا

وفيها هو سابح فى مراجعة نفسه وتأ يبهما ، تمد الزوجة يدها بالنقود إليه فى صلابة وتجهم ، قائلة :

إليك نقودك الني عكرت علينا صفو المجلس . .

فيرد الرجل يدها في رفق ، وهو يقول :

لبست المسألة مسألة نقود ، أبقيها ممك . . . أتحسّسين أني. أضّن عليك ؟ . . . لقد أخطأت التقدير ! . .

فلا تكاد الزوجة تسمع ذلك منه ، حتى تثب إلى عنقه تنامره بالقُبلات والمعابثات . وهي تقول :

لا حرمنى الله ذوقك وكرمك، يانور عيني و بهجة فؤرادي . . . كانت أمثال هذه المواقف تتكرر أشكالا وألواناً . فبتجشم لها الرجل من النفقة ما لا طاقة له به . . . و لكنه يُسلني نفسه منسافاً ،

الإنجاد الدييل إلى المثلاثين.

1.3.

وظامته سرياسان التحييخ شريع الدار ، وتزداد عملواً ودُسُرُ أَ يرماً بعد يوم ، وريما اتفق ، لحمد أنندى ، أن يسأل الشبخ في حوادة ومسلاينة :

ما الخيسير ؟

فيقف الشيخ أمامه سامق الهمامة ، مجنَّم الدراعين ، كا نه نَسَر غَدَهُ وب ، ويقول :

يا سبدنا البك . . . لقد خربت الذمم ، وفسد الناس ، فـلم يعودوا يخشون الله من إن حواك ذئابا لا يتورعون عن النهب والافساراس . . .

وعلى الرغم من هذا الدفاع الحار"، كان وجمد أفندى ، يحس أن يخزن المئونة قد نُدر عت منه البركة ، فهو بفضل رقابة شيخه الصالح ينهار ويتداعى على نحو يشير الدهشة والعجب، حتى كن الآرانب كارت يتناقص أوضع تناقص ، على الرغم من تغذيته كومسًا بوارد جديد . . . وأسفر يوم عرف فيه و محمد أفندى و أن زوجه تستقبل بين النبيا لعبده و في و على الته في و أشراق و أيمة وليد سيدا العه بعد شهور و وليد يضاف اسمه إلى القائمة السابقة الحافلة بالبين والبنات و لكن ما أبين الفرق بين اللفيف القديم والوليد الجديدا والثك لا صلة ينهم وبينه و فكأنهم ليسوا منه و أما هذا الجديد المنشود فله و صمع غير ذلك الوضع و إنه يسقد م كالزهرة النعميرة يضوع عطرها من حوله و فيملاً حياته من بهيئة وإيناس وله يتقدم ليتوج الدار و مثيرا فيها النشاط والمراح و إنه ابنه الوحيد الذي يعرفه حق المعرفة ويتمتع به جد التمتع و او المواجد الذي يتقرع لنشئة طيبة و قشق هو او و المواد النه الوحيد الذي من جدير بالانتساب إليه ا

وجعلت الفتاة تَسَر كن إلى فراشها متكاسلة ، خالية إلى جنينها ،. توفر له الراحة والاطمئنان ...

ومرة أقبل و محد أفندى ، على زوجه ، مستلقية على فراشها تتظاهر بالتعب والإعياء ، فانحنى على محيّاها يودعه قبلة ملاطفة وإقرار بالجيل ، فإذا هي يُزَجّيه عنها في جفوة وضيق ... فمجب

الرجل مما أبدته ، وقال مبهوتاً :

أتكرهين أن أقبلك ؟

فابتعد الرجل عنها قايلا ، والتخذ عملسه فى استنكار وضيق ...
وفى هذه اللحظة قديم الشيخ وقد سمع ختام الحديث ، فانهال على ابنته تأنيباً و تدريرا ، وجلس بجانب « محمد أفندى » يُـطيّب خاطره و يترضاه ..

ولم ينقص عجب و محمد أفندى ، حين قُدُم له غَدَاؤه في اليوم التالى ، فعرف أن الطعام قد خلا من التوابل ... فلما سأل الطاهى جليّة الأمر ، أجابه من فوره :

هذا أمر سيدنا الشمخ ...

وهـرع الرجل يدرس هذه المشكلة التي تمس جوهر معاشه، فقر قراره على أن يناقش الشيخ في أمره مهما يكن من شيء ••• فتشجع مقتحماً مخزن المئونة ، قائلا لشيخه :

أحق أنك أمرت بإخلاء الطعام من التوابل؟

ــ نعم ... أنا يا ابنى ... أنا الذى طلبت من الطاهى أن يفعل ذلك ...

نطق الشيخ بهذه الـكليات في صوت لبن المـكاسر ، رقبق النفن . يسيل من عذوبة وصفاء ... فسأله مستحد أفندى . :

ولم هذا ؟

- س أجل صحتك ... كلنا نهتم بصحتك الغالية ... نبذل في سعبلها كل شيء ... ما أخسر التوابل بالصحة ... هكذا أكدت و تذكرة داود ... يجب أن تكون بصحتك تعشيسًا .

- ـــ ولكن ليس في صحتي ما أخشاه [.]
- إذا أثقلت على نفسك بهذه التوابل عاجلتْـك الشيخوخة .
 ثم تندم ولات ساعة مندم ا
 - أي كلام هذا يا سيدنا الشيخ ؟ ١

هذه نصيحتى خالصة إليك . . . إن اتبعتها . أفيها . . . و إلا فاصاع ما شئت . . .

وكان الشيخ ينطق جملته الأخيرة فى لهجة يشوبهـــا التهديد والرعيد...

ترك م محمد أفندى ، و كر الشيخ يكاد يت يتز غيظا ، في عزمه على أن يقصد تو الله المطهى ، لكى يُسلخ الطاهى نقضه لذلك الآمر الذى صدر إليه بإخلاء الطعام من التوابل . . . ولكنه ألنى قدميه ـ دون وعى ـ تقودانه إلى مُستشرف

الدار، فرى بجسده على المقعد، يسرّح بصره في الأفق؛ وم جمه يتلهب ...

40

وعلى توارُد الآيام ازدادت الزوجة من تراخ و تـكاسل ... لا تـكاد تزول عن فراشها إلا عند الضرورة القصّوك ، فهى منطوية على جنينها انطواء الشعيح على كنزه العُين يخشى انفلاته ، ويتوقيّى الندم على صنياعه ...

وأحس ، محمد أفندى ، أنه كلما دنا منها عمِيلت على إقصائه مستلة عليه بألوان التصلات . . .

وغربت عليه شمس يوم رأى فيه نفسه قد أقَـْصِيَ عن حجرة الزوجة إلى البهو ، حيث هي، له فيه مَبيت . .

وذات يوم نادى الغلام صبحا لبعض شأنه ، فلباه الطاهى عنبراً إياه بأن الغلام قد أخلى البارحة من خدمة الدار ، فسأله محمد أفندى ، :

من أخرجه ؟

_ سيدنا الشيخ .

- لم ؟

_ لا أدرى . . هذا أمر سيدنا الشبخ . .

فاستجدم و محمد أفندى و واستعصم واستعان بالله . . . و جل ترميه إلى وكر الشبيخ يفاتحه في شأن الغلام فوجد الشبيخ سنكبال على غيرارة الصابون يعد ويحسب ، فسأله :

عا حكامة الولد؟

فأجابه الشبخ ، وهو ماض في عدّه وحسابه :

لقد طردته .. إنه غلام كسلان صخاب ، منهوم ...

ورفع رأسه عن الغرارة ، فبدا مفضن الجبين ،كالح الوجه ··· واستأنف قائلا :

إنه كالذئب الجائع ... لو بقى لخربت الدار ... وفي الرده اقتصاد لمرتبه الذي يستولى عليه بلا جدوى ...

بُم علا بصو ته الاجش قائلا :

ياسيدنا البك ، الاقتصاد لازم ··· يجب أن ندبر أمور الحياة ، وإلا واجهنا المستقبلَ بأيام عابسة ···

فهمهم ومحمد أفندى ، قائلا :

ولكن الغلام كان يتولى شئونى ...

ــ الطاهي يستطيع القيام بما تأمره به ...

ـــ إن الطاهي أعجز من أن يتم عمله الموكول إليه ...

فازداد وجه الشيخ جهامة وصلابة، وقال محتد النبرات : لفد فعلت ما رأيت الاصلح ، منوخياً خيرك ، فافعل أنت ما بدا لك . . .

وانكفأ على غرارة الصابون، يستأنف العدوا لساب، وهو يحمجم شخاطبًا و محمد أفدى . :

إذا شئت إرجاع الغلام إلى خدمتك ، فافعل ... ولكن لا تلمنى إذا جرى ما لا تحمد عقباه ... البيت بيتك ، واك فيه مطلق التصرف ... فأمر مما ترى ...

وخرج و محمد أفندى و عمل فى سمعه تفويض الشيخ إياه أن يفعل ما يريد ، وتصريحه له بأنه سيد البيت ، وأنه صاحب الامر فيه . . . و لكنه لم يجد سبيلا إلى استخدام ذلك التفويض وتحقيق تلك الإسرة ، فلاذ بمستشرك الدار يلتمس فيه تفريحاً لما يجد فى نفسه من كر بة وضيق . . .

وما إن استقر على معقده قليلا حتى أدركه الظمأ ، فصفق ، ثم صاح :

كوب ماه ... كوب ماه . . .

فلم يستجنب له أحد .

فكرر الصيحة ، فلم تُدُرُ وَ له غُدُلة ، فاضطر أن ينهض .ومشي

إلى مرائل المالم وتحديسينية القلل، فتاول منها فالترخ أن يكر ع. فإنها مرائل المالية نإذا هي أفرغ من الآولى عرف المالية الثالثة فرجيدها أعطش منه ، فارتجف غيفاتا وما أسرح أن الدب بالنة الغلل إلى الآرض . فتكسرت وركة لا تكسار ما مدين عالمة المرائل المالية فسمعت الزوجة صائعة تقول المحادية الدار، فسمعت الزوجة صائعة تقول المدينة

ما هذا الإزعاج للراحة ؟ ... ألا نستطيع أن نهدأ لحظة في

وما كادت تتم قولها ، حتى كهدَرَ الشيخ يقول:

ماذا؟ أيّ شيء انكسر؟

فسرت فى دم . محمد أفندى ، خشية ، ورمق عطام االقلة فى حيرة وقلق ، فعاود الشيخ هديره أشد عنفنا :

ماذا ؟ أي شيء انكسر ؟ ٠٠٠٠

فانبعث صوت و محمد أفندى ، هزيلا متخاذلا يقول :

لا شي. . لا شي. . . . قلة سقطت . .

فهمهم الشيخ:

لا حول ولا قوة إلا بالله ا

وتزحرح «محمد أفندى ، عن مرافق الما. ، مؤخراً إرواء ظمئه إلى حين . . . وسر عان ما نكائرت شهوات الوسم عند الزوجة . فلها في كل سامة مطلب جديد ، ورغبة نتفان في تاويها ما و ساها التفان . فإن تراخي و محماء أفندي ، في الاستجابة لتلك الشهوات ، أ، استمهل في تحقيق عذه الرغبات ، بادر ثنه الزوجة بإلقاء التبعة في عنقه إن أصبب وليده يضير . أو لحقه مكرود ا ...

وكتيراً ما عانى و محمد أفندني ، ألوانا من المتاعب ، وجساما من النفقات . في سبيل مطالب الزرجة الوسمى ... فن ركوب للدواب ، ومن احتمال لوقدة الحر في الظهيرة ، ومن تنقل بين الآسواقي والمدن ، طلبالما هو عزيز المنال من فاكهة ومتاع . و تانت الزوجة منذ لزمت فراشها ، محمل إليها الطعام في مرقدها ، وكان الغلام تولى ذلك قبل إقصائه ، فتو لا ، الطاهي من بعده ، فأما و محمد أفناي ، فطعامه أيتمل إليه في صينية عاصة ، حيث يقيم في مستشر في الدار ..

وبیماکان ، شمد آهندی ، یوماً یتلهب انتظاراً الحکدائه ، إذ أفبل الطاعی عاوی الیدبن ، یقول :

أتسمهم ياسيدنا البك بالحضور إلى المطهى ٢٠٠٠

- لماذا؟

ــ لنحمل صينية والست ، إليها ...

فحملق الرجل في وجه طاهيه وقال :

أنا أحمل الصينية ؟ ... أمجنون أنت؟

ــ لست بمجنون ياسيدنا البك . . .

فصاح و محمد أفندي و:

أو ضح يار جل .

فقال الطاهي في غير مبالاة :

هذه أوامر سيدنا الشبخ . . .

فهب ً « محمد أفندى ، من فوره ، وقد انتفش شاربه ، ودمدم

قائلا:

أوامر سيدنا الشيخ؟ سأرى ماهى أوامر سيدنا الشيخ هذه؟! وطاوعته رجلاه على أن يقتحم الوكر الحصين، فألق شيخه جالساً متشمراً يكيلُ السمن في نشاط واهتمام. فقال له متهدج الصوت:

أحق أنك أمرت بأن أحمل الصينية إلى البنت ؟

فرفع إليه الشيخ عينه قائلا فىصوت متطامن :

هذا صحيح يا بني ا ... إذا كان الأمر يعنا يقك فلا تفعل ...

- أيعن أن أكاثف مثل هذا العمل ؟ أليس في المنزل من يخسسه م ؟ ...

فأجاب الشبيخ في لهديته المتطامنة :

إن أردت الحق فلا خادم في الدار ...

-- والطاعي ع

- الطاهي ٢٠٠٠ الطاهي ١٠٠٠

وهز الشبخ رأسه فترذ، وهو ُ يميط عن يديه ما عَلَمِق بِها من السمن . به قال :

فير غرب و محمد أغندي ، بهذه الإثارة ، وصمت هنيه ، وهو بهرش رأسه ، وهيني

على أبة حال نبحب أن نُنجعنس عادمة ...

... فلنبحث عن خادمة ... أما الآن ...

- الآن؟ ... الآن؟ ...

... إذا رأيت أن أقوم أنا بحمل الصينية إليها، فإنى أفعل عن طيبة خاطر ...

وبهض الشبيخ في جهد، وما لبين أن ر'ثي وقد عاجله سعال

متنابع، يشقق حلقه ويهز أركانه ، ثم إذا هو يترنح رويدا. ويوشك أن ينقض ، فأسرع إليه الطاهى يحفظه من الستوط ، ويقول له:

يا سيدنا الشيخ ... أرح نفسك ... إنك ' تضنَّني صحتك ف خدمة الدار ...

ومازال الطاهى بالشبخ يسنده و ُيعنى به ، حتى تراءى بأنه قد أفاق وعاوده التمالك . . .

ومسمع يهمهم :

ثم التفت إلى الطاهى ؛ كأنما يوجه إليه قوله :

رضى الله عنك يادعمر ، يا أمير المؤمنين !. . . لم تستمكف أن تطهُو َ بيدك الطعام الامرأة ! . . .

تم مص ّ شفتيه في تحسر ، وسرّح ببصره طويلا في الأفق، وقال في ترتبل :

« إمما المؤمنون إخوة.... و تعاونوا على البر والتقوى.... صدق الله العظيم

وَ خَـلل لحيته بأصابهه . ثم استانف قائلا :

المؤمن للمؤمن كالبنيان يَـشد بعضه بعضاً . . . صدق رسول الله في حديثه الشريف ا

وتهاطلت على لسان الشيخ آيات وأحاديث وحكم تحض على التعاون بين الازواج، وتُشيد بالتواضع وخفض الجناح. . .

وكان كلما استرسل فى ترتيله ، اشتد صوته ، واعتدلت قامته ، فما إن قارب الفراغ من إلقائه ، حتى كانت أرجاء الحجرة تتجاوب فيها أصداء؛ كأنها هزيم الرعود، ينذر غلاظ القلوب المتكبرين بأنكال وجحيم ، وطعام ذى غُرُصّة وعذاب أليم ا

وارتد , محمد أفندى ، عن الحجرة ، بجرجرخطاه ، مطأطى ـ الهامة ، بحس أثقال الخطايا تتراكم على منسكيبَ ...

وساقته رجلاه إلى المطهّــى ...

47

وانتظر الرجل أن يظهر للخادمة أثر فى المنزل ، وطال به الانتظار . .

ولم يكن بُد من أن يضطلع بشئون الزوجة ، لا يقتصر فى خدمتها على حمل الطعام إليها ، وإنما يلى من أمورها كل ما تمس حاجتها إليه . . .

وكان كلما غمره شعور بالغضاضة من هذا الامتهان ، صافحت أذنيه أصداء مطولات الشيخ فى الترهيب من التكبر ، ومجانبة التواضع ، والتقضير فى عون الاقربين ... فيما رس عمله مجتهداً فى تسويغه لنفسه ، متكلفا الرضا والارتباح .

بيد أنه على الرغم من ذلك؛ كانت تجوز ُ به لحظات ُ هم وضيق؛ إذ تثور نوازعه، فيتسخط ويتشكى، وتملا النقمة ما بين 'جنبيه، ويتفق أن يمر" به الشيخ فى مثل هذه الحال، فيقف عنده متفرساً فيه، قائلا:

أكبر ظنى أنك غير مستريح إلى مشاركتنا فى بعض واجبات المنزل . .

فيرفع و محمد أفندى، رأسه إليه ، بحيبا في صوت وسُنان : لا يخطرُ لي هذا الآمر بيال 1 ...

فيتدانى منه الشبخ مُسرَ بُّـتَّاكتفه ، يقول :

نحن جميعاً فى خدمة القادم الجديد.. ولدك العزيز ...كل صعب فى سبيل خدمته يهون ا

 هنالك وليد يوشك أن يهل على الدار بطلعته الوحنيئة ... وإن لهذا الوليد لحقوقا يجبأن ترعى ، ومطالب لابد أن تُستوفى ... ماذا فى أن تطلب الزوجة صنوفاً من الثياب والامتعة لذلك الوليد؟ ماذا فى أن تطلب الزوجة إنشاء حظيرة جديدة للدجاج تنافس كن الارانب ، حتى تستطيع هذه الحظيرة أن تُمسد الام النَّفساء يما يلزم لها من الطعام ؟ ...

ماذا فى أبن تطلب الزوجة جمامن الكيباش لإحياء يوم السبنوع، وللوفاء بالنذور لأولياً الله، حمــــــداً له سبحانه على ما أنعم وتفضل؟

ماذا في أن تطلب الزوجة كل هذا وغير هذا كله من مطالب ورغاب ؟ ...

ولقد انتهى الامر ، بمحمد أفندى ، تحت وطأة هذه الاعباء إلى أنه كان إذا ذُكر أمامه حديث الوليد الجديد ، خُسِلَ إليه أنه مهدد بمسط شيطان يُنشب أظافره في عنقه ا

وكثيراً مَا انفرد و محمد أفندى ، بنفسه فى مستشرفه ، يعرض قلك الحقيبة الربفية من حياته : ماذا ربح منها ؟ وماذا خسس ؟ ولا يلبك أن يعتطرب خياله ، وتَدغيمَ أَفْكَاره ، فيظلمَ أمامه وجهُ الرأى ، لا يدرى أغانمُ هو أم غارم ؟ وشقى هو أم سعيد ؟

وفيها هو يوماً يصطلى حر تلك الهواجس والهموم، إذ أقبل الشيخ مقتحماً عليه كاوته، وهو مترنح الاعطاف، يتطلق محيّاه في زهو . . . وقال له :

أُبشر من القد أرَحْمتك من مسألة مهمة لم يكن لك بد من عناء القيام بها ا

فسد د إليه ، محمد أفندى ، نظره في امتعاض كظيم ؛ كا نه ينساءل :

أى مساكة مهمة تلك ؟

فتابع الشيخ قوله :

لقد أوصيت بإعداد عالمة ذهبية للمصحف الصغير الذي سيكون تميمة الوليد . . . ولن تدكلفنا أكثر من عشرة جنيهات ! فصدّعد إليه و محمد أفندى، نظره وصوّبه ، فتجلى له ما يتحلى به الشيخ من عباءة قشيبة . وكمنظر ف من خرف ، وعمامة زهراء . . . وسرعان ما رجعت إلى مخيسلة و محمد أفندى ، صورة الشيخ منذ عهد قريب ، وهو في أسهاله وأطهاره ، بادى الذلة والبذاذة فبرقك عينه ، وقال محتد اللهجة :

عشرة جنبات ؟ . . . عشرة جنبات ؟

فلا حقه الشيخ برده :

أتضَن بعشرة جنيهات على حراسة وليــــدك العزبز الذى تَعَمُّر به الدار ؟

فتو هجت عين «محمد أفندى، وأحس الغيظ يشتعل فى صدره، ونهض واقفــًا كَرِ ْجُــفُ و يصيح :

فلتنهدم الدار على رأس الوليد وعلى كل من فيها 1 ...

وألنى نفسه يندفع مبارحا مكانه كالزوبعة الهوجاء ، وانطلق إلى الطريق . . .

49

وبعد قليل بُلغ الرجل بيت المأذون الشرعى، فلما أقبل عليه فى ركنه منكسًا على دفنره، حيثاه تحية عاجلة. وقبل أن يسمع رد اللتحية قال فى صوت زاعق:

صل على النبي . .

فارتاع المأذُون لمَـر' آه ، و مسح لنعابه . وقال :

اللهم صل عليه . . .

ــ لقد استخرتُ الله في تطليق المرأة . . .

فتنحنح المأذون وقتاً ، ثم قال :

أَبْعدُ الله الشر . . . ماذا جرى من بنت ابن الشيخ ؟ إنها بنت طيبة ، وزوا جُمكما قريب . . .

فصاح به و محمد أفندى صبحة مُسنكرة ، قائلا :

قلت لك: صل على الني ...

ـــ اللهم صل عليه يا أخى . . ليكن بالك رائقـًا . . .

... بالى رائق ... ولكنى اعتزمت تطليق المرأة والسلام ا وأعد المأذون نفسه لإلقاء محاضرته فى إصلاح ذات البدين، والتنفير من أبغض الحلال، ثم اندفع كالسيل يشقشق بالعبارات والجمل ـ بَيْد أن «محمد أفندى» قاطعه قائلا:

> ــــ لقد انتهى الأمر ، ولا رادً لقضاء الله ا وسرعان ما دُو ْنــَت ْ و ثيقة الطلاق . . .

وشوهد و محمد أفندى ، بعد أيام آيبر ح دكفر عقيق ، متخذاً الطريق الزراعي العام ، يمشى مُننسَرِق القوى ، مُمتقعَ الوجه ، فائر العينين ، عليه معطكف منعبر ، وفي يده مُسر ةمهرولة حوت كل ما يملك في دنياه من متاع

لقد أرغيم و محمد أفندى ، على أداء مؤخر الصداق وما إليه من نفقات . . وأحدق به الدائنون ، فاستو فتو ا مالهم من ديون . . . لقد فرغ اليوم من و عملية التطهير ، الآخيرة ، فحرج من القرية على هذا النحو ، يحدوه مصير جهول ا...



زَهــُزة المرقصّ

١

إلى من تسقط في يده هذه الأوراق ، أروى هذه القصة .

إنها غُسفل من الاعلام ، فأرح نفسك من محاولة التعرف لصاحبها .

إنه إنسان مثلك ، صَـبَت نفسه إلى أن ينقل إليك هـذا الحديث ، لعله واجد في ذلك تسرية ، كما أنت واجد فيه مسلاة ! أما أن تعلم : أوَهم ما يقال أم حقيقة واقعة ؟ فليس ف ذلك ما يَشْقُص من قدر القصة أو زيد ...

أى جدوى لك فى أن تكون القصة من وادى الحقائق ، أو من صيد الحيال ؟ ستقرؤها فى فُسحة من وقتك ، وفرصة من فراغك ، فإن شاركتنى إحساسى وشعورى . باركتك وطلبت لروحك أمنا وطمأنينة فى اجتيازها برزخ الارواح ، ولجسدك سلاماً ورفاهية فى ناورُوسه الحجرى .

وإن لم تقع هـذه الأوراق من نفسك موقعها المؤمَّـل ، فلا تنكر على ولا تلعني ، إذ أضعت وقتك هباء . واختر أن تكون سمح النفس ، كريم الحلق ، تنشـُد الرحمة لهـذا الشاعر المأخوذ الذي صـّب عصارة عمره زبتا تضاء به ذُ باللهُ الأوهام ...

هي قصة فتاة .

فتاة طالعت الحياة تمارس الرقص ، و تعرض فنها وفتسها سلعة في أسواق المواخير ...

لم تكن بذات حسن باهر ، يجتذبك بروعة القسامة والوسامة ، ولكن روحها الحى المتألقكان يسرى فى جسدها اللدن المشييق ، فيتضو ً ، ويبك من حوله الفتنة والسحر ...

إنك لتحسّ نور ذلك الروح وحرارته ، يشف عنهما ذلك الجسد؛ كما تحس ضوء الشمس ودفتها خلف غلائل الغيوم .

إذا ا تغق لك أن تراها عفو النظرة ، وهي في ما لوف الرواح.

أو الغدو ، فإنك ربما ترفعت عن أن تعاود إليها النظر ، بيد أنك ما إن تلمحها قد توسطت مَدَ ارَ الرقص ، وجعلت تقل قدميها في خفة وتراوح بين يديها بسطا وإرخاء كأنهما جناحا طائر ، وتتأو ثد بخصرها كانسباب الجدول الرقراق ، حتى تراها وقد تضو عدمنها فتنة نفاذة أخاذة ، وانبعث من حواليها قبسات مشبوبة تتغلغل بحرها بين الحنايا والضلوع

لم تبكن تتحل بزينة بالغة ، أو تتحسن بملبس زام ...

سر ُها وسحر ما كمين في ذلك الروح الوهاج ...

إنه ليظه للطه كأنما هو حبيس تُمتم أحكم صمامه ، فإذا ما احتوتها ساحة الرقص ، تخلسى الصمام عن مكانه ، وأنطلق الروح كأنه بخور مسحور يشيع ولا يفتأ يشيع ، حتى يملك على الناس مسارب الانفاس .

وقد تثير شَـعرَ هَـا في الرقص ، وكان سَـبُـط الغدائر فاحماً ، يتهدل كأنه سَـمف النخيل تعابثه نسمات الاصيل .

إنها تستعين بشعرها على التفنن فىالرقصات ، فتارة هو غدائر تتواثب على الكتفين ، وطوراً هو سابح على الصدر ، وحيناً هو غلالة تنسدل شفافة هفهافة توقظ الإغراء.

وسرعان ما طار إلهــا في الارجاء صبت ، وجرت بحديثها

النسن ، فلم يبسق فى الارجاء قاصيها ودانيها من لم يعرف و زهرة المرقص ، .

وماهي إلا أن تبوأت مكانتها في سوامر الأمراء، ومحافل السراة. فراحوا يتهافتون عليها تهافت الهوام على الشراب المعسول، يَــُــُـُون منه عب العطاش!

وكانوا يُــثقلونها بأمداد من مال ومتاع ، فتثقلهم هي بألوان من دلال ومــطال .

لا يصدهم ملل عن النلطف والتقرب والزُّلنيَ .

ولا تأخذها هوادة وإلا رحمة في تكسب واغتنام .

وما برح نجمها يتصعد ويأثلق ، حتى كان ماليس فى حسبان . لقد توارت د زهرة المرقص ، عن العيون ، فاعترى الناس

طائف من دهشة وأسف .

أين ولت ؟

أسًا أنها ماتت ، فلا ...

لقد خلا ناووسها من جسدها المعطر ... ذلك الناووس الذهبي الذي شُخلت بإعداده، وشغفت بتنميقه، بصعة أعوام ...

أثراها ظعنت إلى ما وراء النخوم ، تقصد الشرق الاقصى ، تلتروع بفتنتها أقيال المهالك ، وغطاريف الشعوب ؟ لوكان ذلك شائها ، لنرامى إلى الاسماع حديثها ، فإن أنباءها قمينة أن نَسيح بها طوّ افة النسيم ، وأن ترف بها أجنحة الطـــور ...

وظل استخفاؤها الهزآ لا يُنتبين له وجه ...

هذا قَـصُرُها، قد تخلتُ عنه ...

وتلك 'حلاها ، لم تعبا' بها …

عِباً لها ... زهدت فی کل شی. ، و تولت تنشدُ ها تائمات. الظنور نی ا

وتتالت الشهور . والناس على عهدهم يلهجون بذكر ، زهرة المرقص ، ولياليها الملاح ، ولايملون في شأنها السؤال والاستخبار ، يقلبون الأمر على شتى وجوهه ، ويتمثلون في استخفائها أشتاتا من الفرّ عن والتخمين ...

فن قائل : إمها بَر مت بحياة الظّهُورُ والتّرف ، فَـشهَـقتُ نفسها إلى عيشة شَظْف وَانزواء، ومن مُمَّ احتوتها مَـثابـَـة كاهن. من الزهاد، في منقطع عن العمران .

ومن راجم بالغيب يرى أما لم تجدلها كفؤا بين الرجال يقدرها قدرَها الحق، فآثرت أن تكون للنيل العظيم عروساً تفنى فى أبوته الخالدة ا وهناك من كان يزعم أن وب الآرباب و رع ، قد أغر م بها ، فانتزعها من بين أحضان البشر ، وأفرد لها عشا فى ملكو ته الرحيب تحيا فيه ، و بين الفينة والفينة يهبط إليها ؛ ليتعرف أى شى. ذلك الذي يفتتن به البشر من لذاذة ومتاع ؟ !

وكا ين من قصص وأساطير أنيقة الوكثي . جميلة التنسيق تتناقلها الالسن في شاك تلك الراقصة التي ارتفعت عن أعين الناس ، كا ثما أد بَسر عنهم إله ا

۲

وذات مساء جلست لـُمـَّـة منالناس. يتنادرون أمام إحدى الدور ، في حاضرة الجنوب .

وساقتهم شجون الاحاديث إلى أنباء و زهرة المرقس ، ، فشرعو ا يتنافسون في تجلية ما يدور حول استخفائها من أقاويل .

وكان بين الشَّار شيخ أشعث أغبر ، تقاذَ فتسسه الفلوات والآودية ، وعركته الرحلات والآسفار . فا ما أديم وجهه ، فقد كان ملوّحاً يضرب إلى السواد؛ كا نه الفَخار صهدَ شه النار ... وقد تحملت فيه السنون ما يعمل المحراث في الآرض من أخاديد وتجاعيد . كل خلجة من خلجاته تفصح أنه جوّاب آفاق تُسلِمة النجاد إلى الوهاد، لا قرار له فى أرض، ولا مقام له فى مَــُشوى...

كان الشيخ فى الحلقة سَكونا خافض البصر ؛ كا ثما أخذته سينة من الذباء ،وكلّت ألسنة سينة من الأنباء ،وكلّت ألسنة الجلاس من التحاور ... سها الشبخ برأسه ، وانفر جت أجفانه عن و مضات خابية كابية . ثم جعل يعتصر جبهته هنيهة ، وشرع يتكلم بصوت مستضعف منهوك ...

قال .

إنكم متسائلون عن تلك التي تلقبونها و زهرة المرقص ... و إنكم لتقصون من أنبائها حديثا عجباً ... و لأن لم يكذ بي ظني لتكون تلك الفتاة هي التي شهدتُها في بعض أسفاري القصوي ... شهدتها في مطرّ ح نبا عن العمر اذ ، يسكاد لا يُسعتد في عالمنا الآهسل المسكون ...

وعاود الرجل صمته ...

فتصدت له العيون تسدد نظر اتها كا نها سهام تحاول أن تنفـُـذ فيه ، لتثيره و تبعثه على مواصلة السكلام ...

وران على المجلس صمت أشبه شي. بصمت المسجَّمي في ماووسه ، ينتظر عودة الروح ... وعيل صبر الجمع . وضاقوا ذرعاً بهذا النرقب والانتظار ، فازد حمت الآلسن بفتـــة تقتحم على الشيخ سكتنه ، وتدانت منه الأجساد ، حتى ضاقت حوله الحلقة ، وأحس الانفاس تتكاثف على وجهه ،كأنها زوبعة هو جاء من زوابع البيد التى قاسى عُنفوانها في رحلاته من صُقع إلى صُقع ا ...

فصاح الرجل وقد احتقن وجمه المعقد ، قائلا :

حسبكم من تَعجَّل ا ...

ثم أشرَع سبابته إلى نجم ألاق فى عُـرض السماء ، وقال : إن هذا النجم أقرب لسكم منالا من تلك التى تنشدونها ...

فازداد الجمسيع تألبا عليه ، و إحداقا به ، واستحثاثا له على الإفضاء بما عنده ...

فشعر الرجل بأن أنفاسه تحتبس ، وما لبث أرب غاب. عن وعيه ...

فلما ذهب عنه الإغماء . أانى نفسه فى بهو تنرامى أرجاؤه، ويسطع ضياؤه، ويشيع فيه نفح الاطياب ...

وطالعته عمد ضخام سوامق ، عليها النقوش والتهاويل . وراعته أستار من المُخمِل تحجُب النوادذ والأبواب .

فجعل يرجع البصر كرات فى ذلك البهو الرائع ، حتى استقر

نطره على منصة يعتلى عرشها رجل متلألى. فى أكسيته الزاهية ، ومن حواليه حشم وأتباع ...

وصافحت أذنَّ الشيخ هذه الكليات:

لقد ثاب إليه رشده... قربوه...

وما إن نطق سيد المنصة بكلماته . حتى أحس جو ابُ الآفاق با ثد غلاظ شداد تحمله ، فتاتى به عن كثب من قوائم العرش . فألنى نفسه يهمهم :

أين أنا ٢٠٠٠ ماذا يُرادُ بي ٢٠٠٠

فدنا منه رجل وثبق الأركان ، فارع القامة ، فى حلة حربية لماعة ، وهو شاكى السلاح ، أظهر ما يظهر من قسماته نُـد بَة هى أثر جرح غائر فى جبينه ...

وما هي إلا أن قال للشيخ :

أنت بين يدى الأمير حاكم الجنوب المحفوظ بعناية رب الأرباب ا . . . وإنه لآمرك با أن تفضى إليه بما فى علمك من شا أن دورة المرقص

فا طرق الرجل وقتاً يلملم ما تبعثر من ذكر آياته ، ويجمع شمل خواطره ، ثم قال حائر النظرات :

ليس لدى ما أضيفه إلى ما قلته . . . إنها في مطرحها القصى ،

وإن نجم السها. لأقرب إليكم منها تمنالا . . .

فعلت صيحة الأمير ، وهو ينتفض من غضب :

ليس فى الوجود ما يتعذر علينامنالُه أيها الصعلوك الشريدا . . . أعلى ظهر الارض هي فننشدها ، أم طواها ، أوزوريس،

في ملكوته الخني ؟ . . .

فأمعن الشيخُ في شروده ، وهمهم :

حقاً لست أدرى ا

فصاح الأمير حازم اللهجة :

ألم تقل إنك رأيتها؟

فقال الشريد ، و"حــد قـَـتاه تدور ان فى كَعْــجـَـرَ يَـــهـُــما من حيرة واضطراب :

بَـلى ... رأيتها ... رأيتها بعينيٌّ هاتين ا

ورفع سبابته يشير بها إلى كلتا عينيه . فقال الامير :

إذن هي في الحياة ...

من يدرى ا

وتعالت بين حاشية الامير همهمة تساؤل واستيضاح.

وتحرك الرجل الحربيّ صاحب الندبة الغائرة في جهته ،

ومالبث أن رفع يديه بسوط غليظ ، وقال :

أفصح، وإلا ألهبت بالسوط ظهرك . . .

فريع الرجل، وتكش يرجُف، ثم صرخ بصوت راعش: قسماً برب الأرباب إنى لصادق فيما حدثتكم به ا

وغامت الدنيا لعينيه ، واستلق على أديم الأرض ، يستغيث هاذياً ...

و تقدم الرجل الحربي ذو النُّدُّ بة من الامير ، قائلا له : مخبول هذا الرجل يامولاى ، أو لعله محموم !

- سواء أكان مخبولا أم محموماً ، فإننا لن ُ نفلته حتى يطلعنا على سره في شأن د زهرة المرقص ، ١

وأقيم َجو اب الآفاق فى حجرة من حجر القصر ، مخفوراً بأحراس، محوطا بأسباب العلاج والتمريض، مكفولة له راحة العيش...

وما انقضت أيام حتى استعاد الرجل طمأنينة النفس، وصفاء الفكر ...

وكان فى الفينة بعد الفينة يزوره الرجل. الخربى ذو النـــدبة الغائرة، فى بمناه سوطه يتلاعب به، فيتحدث إليه تارة متبسطاً يستدرجه، وطوراً مغلظاً له فى القول يَتهددُه، فما قدر على طول المجاهـــدة والمعاناة أن يستخلص منه إلا أمشاجاً أشبه شىء

برۋ با نائم ...

عرف الرجيل الحربي ذو الندبة أن جو اب الآفاق رأى « زهرة المرقص ، ليلة فى ضوء القمر ، وهى ترقص على مَسرج كأنه بساط من سندس ، تُحدق به نُخيلات فوارع، يجوس خلالها جدول رقراق ...

رآها ، ولكن كما يرى طيفا من الأطياف، لا تأخذه العين إلا لمحا...

وكانت تتر دّد فى هذه الساعة أنغام ناى َحنوُن ، لا يتبين له صافر . . .

ولبث الجواب وقتاً بمرأى من ذلك ومسمع ، لا يعلم أطال به وقته أم قصر ؟ . . . بيد أنه موقن أصدق اليقين أن صوتا هتف من حوله :

ابتعد أيها التائه الشريد عن هذا الوادى المقدس . . . تنح عنه لا تطأه بقدميك . . . انج بنفسك ، وإلا حاقت بك غضبـــــة القدس الاعظم ، وحقت عليك لعنة الابد ا

ففر الجو أب من فوره مذعوراً ، مستطار اللب ، يضرب في المفاوز والفلوات . .

ذلك قصارى ما انتهى إليه حديث جواب الآفاق في شأن

«زهرة المرقص» ...

٣

وجاء يوم شاهد فيه أهل المدينة قافلة تبرز من قصر الأمير ، على رأسها ذلك الحربى الفارع ذو النشدية الفائرة ، وعن اليمين جو "اب الآفاق ، ومن ورائهما الاعوان بينهم حملة الامتعة والازواد .

و تناهى إلى المسامع أن القافلة إنما تبغى سفراً بعيد الشقة ، فى مهمة ذات بال ...

و نصسلت القافلة عن المدينة تودع الرفاهة والآمن ، بجوار النيل السعيد ، وتستقبل ذلك الحنصم العسجدى من الصحراء ، تعانى في قطعه ألواناً من العذاب . . .

وواصلت القافلة سيركها ، وسُمراها . . . تسيل بها الوهاد ، وتعلو بها النجاد : فمن شمس تسلط شواظهـ المها ، وتلهب مواطى الاتدام . ومن زوابع تبسط أستار الرمال فنتُعشى العيون . ومن جفاف قاحل ماحل لازرع فيه ولاضرع . ومن ليل موحش تسرى فيه زمزمة الضوارى ، وتتخايل أشباح العاديات ا . . .

إلا تلك الرؤيا الحالمـة التى ألفت بين أشتانها مخيلة جو اب الآفلق الشريد ...

وما زال رَهـط القافلة يمضون ويمضون ، حتى نجمعت من أيام رحلتهم أسابيع وأسابيع . وكاتما فوج من أسارك سرب أفلتوا من ماسرهم ، فهاموا على وجوههم يطلبون ملاذة وقد عز الملاذ ١

وشح الزاد ، وشاعف الآجساد هزال وإعياء، وعلت. الوجوم غبرة الشظف والحيرة وغموض المصير ...

وتبادل الرفاق صمتاً يَرْدفه صمت. واستعاضوا عن الـكلام بالنظرات تنم عن تخاذل وقنوط...

واستبدت بقائد القافلة جهامة وعبوس ، ولم يعد يسأل جو ّابَ. الآفاق عن شيء ، فقد نضب معينه من قول يضيفه ...

لقد عاد القائد يفكر فيما ينجيه من ذلك التيه ، أكثر بما يفكر فى بلوغ الغاية وإدراك المنشود

لم تبق فى الركب قوة على متابعة المسير ، بل لم تبق فى نفوسهم. أثارة من رجاء تشد من العزائم الحاوية ...

ولكن كيف السبيل إلى مَآبِ ؟ ...

أنيَّ للقبائد ذي الندمة الغبائرة أن يعود بجرجراً أذيال

خيبة وإخفاق ؟

بأيّ وجه يلق الأمير؟

بأى لسان يبسط عنده العذر؟

أينسى قول الأمير فى يوم وداءه :

إنه لمعدّ له أنكالا وعذاباً أليما إن هو قصر ، وإن هو لم يبلغ ذلك المأرَبَ العظيم ا

أما جو ّاب الآفاق فقد غشيه الذهول. وألح ّ عليه الضعف، و وانتهى به الامر إلى أن تملكت عيبوبه أصمّت سمعه، وعقلت ْ لسانه ا...

عظل ممدوداً فى محفة يتناوب حملها رُ فَـُقة السفر ، منهوكى القوى ، لا يكادون يستطيعون لاجسادهم حملاً .

وَ صُـبح ً يوم أقبل القائد ذوالندبة على جو "اب الآفاق فى محفته يصعد نظره فيه و يصوبه ، وقد بام منه الغيظ كل مبلغ . وما لبث أن أمر بإلقائه على متن الرمال تتولى رَعيه ١

واستأنفت القافله سيرها ... ولكن إلى أين ؟

وكانت الصحراء تتقاضى الرّ كبّ كل يوم صريعاً هالـكا أو موشكا أن يهلك. وكأنما لذلها أن تقتنص كليوم طعامها من تلك الاجساد التي أنضاها السفر، وأضناها الـكلال ...

وأخيراً حان يوم ألنى القائد ذوالندبة الغائرة نفسه فرداً يتنفس، لا عون له ولا رفيق، ليس من حوله إلا حُـطام من متاع ... و هبّت عليه نكباء من ربح الصحراء، أشاعت حوله الظلمة والعبوس ...

وأحس أنفاسه تختنق، والحياة كيْسبسُ بين أوصاله ... وتواصلت أشهر، والأمير يرتقب عود الركب، يمنى نفسه بأوبة قائده المظفر، وقد اصطحب الضالة المنشودة ...

ولكن الأشهر رَدِ فتها الأشهر، دون أن تذهب عن الأمير مرارة الانتظار والثرقب.

وأخيراً دب اليأس إلى قلبه، فنسى شأن تلك القافلة التي أصبحت في ذمة الظنون ! ...

٤

وفى أمسية من الأماسيّ المقمرة ، تـَحلق جمع من الناس بباب إحدى الدور فى حاضرة الجنوب، وهم يسمُ رون ...

وفى أعقاب السمر تسلل بهم الحديث إلى شأرب ، زهرة المرقص ، فتنازعوه بألوان من الحدس والتخمين...

وكان بين الجلاس غريب يشبه في أسماله جو ّابي الآفاق ،

تعبث بوجهه التجاعيد، ذو بشرة كوّحها القيظ تكسوها غبرة، وعلى جوانب وجهه يتهدل شعر غزير ···

ولم يكن يأخسف بطرف من أطراف السمر ، وإنما قنيح بالإصفاء مطاطىء الرأس ،كأنما تسرى فيه إغفاءة . فما إن عرض حديث ، زهرة المرقص ، وخاض فيه السمّار ، حتى جعل يرفع رأسه ، وينفض الغفوة عن جفنيه ، ويقلب فى وجوه المتحدثين نظرات كلملة عشواء ...

م هديم في صوت راعش:

أعَن تلك الراقصة الحسناء تتحدثون ٢٠٠٠ أكبر ظنى أنها هي تلك الفتاة التي لمحتّبها في بعض أسفارى القاصية ١٠٠٠ إنها في مثابة لا تصل إليهاقدم بسر ١٠٠٠ إنها بعيدة عنا بُدعد ذلك النجم السيّار ١٠٠٠. وأشار بيده إلى السياء ا

فاعتم الجمع أن أطبقوا عليه يحاصرونه بأسئلتهم فى إلحاح، فلاذ الرجل بصمته، وعيناه السكليلتان تدوران فى حيرة وخبال. وسرعان ما شاع فى المدينة نبأ ذلك الغريب الذى يعرف سر درهرة المرقص، فلم يلبث الرجل أن أحس بنفسه محمولا إلى قصر منيف، واحتواه بهو فسيح الارجاء تتراءى فيه العمد، مردانة بالرسوم والنقوش ... والاستار المخملية تكسو النوافذ

والابواب، وذلك العرش المنألق تحفّ به الاحراس والاتباع ... وتدانَى منه رجل بادن متكتل فى حلة حربية ناصعة، وهو يتلاعب بسوطه، وصاح به:

لقد سمعك الناس تتحدث عن و زهرة المرقص ، ... فهلا أوضحت الأمير حاكم الجنوب المحفوظ بعناية ربّ الأرباب حقيقة ما تعلم ؟

فجعل الرجل يطو"ف ببصره حوله ، يحاول أن يكشف عن مخيّـاته ما ران عليها من ذَّ هلــُهْ وشرود .

وشاعت على شفتيه ابتسامة حيرى ، وهم أن ينطق ، فلم يملك . وطال صمته ... وأحس لسعة السوط من يد ذلك البدين ، وهو يقول له :

ألم تُنع ِ ما أنول ؟

فجمجم الغريب، متلعثها:

رمحياك ا

- لارحمة قبل أن تُنفضي بما عندك ...

فرفع الغريب عينه ، يبعث منها نظرة زائغة ، وقال :

لقد قلت لـكم إنها بعيــدة المنال ... بعيدة كنجم السهاء ،

ما أنتم ببالغيه ...

وهوى السوط على ظهره، فصاح الغريب يتضرع، وقال الأمير في صوته الركين:

أدركوه بخُـر عة من شراب ...

وصافح هذا الصوت سمع الشيخ الداهل، فأرهف له أذنيه، وخيل اليه أنه صوت ينفئذ من بعيد، مخترقا طيات الاحقاب ... فأخد يستنقذ ما بق من ذاكرته تحت أنقاض الاحداث ... وجى له بقدح مُسترع بالشراب المنعش، فاشتفه اشتفافاً ... وجعل يعبث بشعره المسترخى على جوانب وجهه، وما هى إلا أن استبانت فى جبينه ند بة هى أثر جرح غائر ...

وانتفض الأمير ، متنحياً عن عرشه . وأفبـــــل على الرجل. يتفحص سماته تفحص متثبت ...

ثم لم يملك أن صاح .

أهذا أنت ؟ ...

والتبه الغريب، واتسعت حدقتا عينيه، وجعل يرنو إلى الأمير كأنه يميط الغبار عن صفحات طال بها العهد...

ئىم صاح فجأة :

مولای ا ...

وخر ساجداً …

وحُـمل القائد ذو الندبة الغائرة وهو مَغـْشي عليه إلى إحدى حجر القصر، محوطاً بألوان الرعاية والاهتمام.

ومضت أيام والرجل طريح الفراش ، صريع الحمَّى . . . وكان الأمير يعوده في الحين بعد الحين . فيلازم مرقده ساعة

يصغى فيها إلى هذيانه ، وهو يقول :

وإنها فى واحة ورع ، . . . واحته العليا ، حيث الخضرة السندسية ، ينساب فيها الماء من لجكين ، ويظللها النخيل الباسق بسعفه الفينان . .

يا لهذا الناى الساحر يَـصـُـفـِـر فيه رب الأرباب ، فتنخطر على إيقاعه تلك الفاتنة الحسناء . . ،

وامتدت الحمى بالقائد ذى الندبة : حتى أفضت به الوعكة إلى فقدان الحراك . . .

ويوماً ذهبت الحمَّى عن الرجل بغتة ، وعاجله صحو وَهَـّـاجٍ ، فا شرق وجهه ، وسطعت عيناه . . .

وسرعان ما طار النبا الل سمع الامير ، فقدم من فوره ، وأقبل على القائد ، مستبشراً طلق المحسيا ، وتبوأ مقعده عن كشب منه ، فرنا إليه القائد فى ضجعته . وقد ضاءت على فه ابتسامة وديعة . . . وجى م له ب فسرت فى وجنتيه

انتعاشة خفيفة . وبعد فترة لاطف الأمير يد القائد ، قائلا :

ا صُد تني ... أحقاً رأيتها!

فهمهم الرجل خافت الصوت ، رزين اللهجة ، وثيد النبرات: نعم رأيتها . . . رأيتها بعيني هاتين ا

و تاه بصره في الآفق ، كأنه يستعبد في خياله ذلك المشهد. المعمد الذي وأي فيه د زهرة المرقص ، . . .

ثم استأنف ميهمَنينم :

ليست هي الآن من البشر...

إنها حلم وردى ، تلوح أطيافه في عالم المنام . . .

إنها روح اطيف يسرى فى كون سماوى" ...

إنها فَكُرة قدسية ، ترِف في ملكوت رب الارباب

ډرع، ٠٠٠

إنها شعاعة لمـّـاحة تدور في فلك الإله «آتون . . .

إنها عصيَّة المنال عن هذا العالم الأرضى . . .

إنها ...

وما هي إلا أن عرت الرجل ِهزّة ، فال رأسه ، وتراخي وسكنت أوصاله ...

فابتدره الأمير مستحشًا ، في تلمف ، قاتلا له :

-11.-

تكلم . . . أوضح ما تقول . . .

ولكن القائدكان في هذه اللحظة قد خلص بروحه من دنيا الأباطيل والاوهام، وأصبح في ذمة وأوزوريس، حيث الحقيقة الخالدة

اخسانيه

أدّى دأبو المعاطى، فريضة الفجر فى المسجد، على مألوف عادته فى تأدية الفرائض حاضرة، ثم غادر بلدته دكوم الزهر، القائمة فى بقعة مشرفة على النيل شهال القاهرة. فما كاد يخرج من البلدة، ويمضى فى الطريق العسام، حيث الدواب تروح وتجىء، والسيارات العامة تنتهب الأرض – حتى كان أول شعاع من أشعة الشمس يحيى الكون تحية الصباح، وكان النسيم رطباً مشبعاً بأنداء الفجر، والحياة تبدأ انتعاشها البهيج والضوء فى بواكيره يختلج على صفحة النيل، فتناجيه العصافير وهى تبرح أعشاشها تلتمس الرزق ناشطة.

بَيْد أن ذلك الجمال الرائق الذى يبعث فى النفس الراحة والطما نينة ، لم يظهر له أثر على وجه د أبى المعاطى ، فقد وضح على سيماه طابع الهم والكآبة ، فهو يسير لا تعنيه سقسقة العصافير ، ولا مشى الدواب ، ولا جرجرة العربات . وإنما يفكر فى شا نه وشان المهمة الني كلفه أبوه أن يقضيها له فى القاهرة : عليه

أن يقابل كاتب المحامى ، وأن يدفع إليه بعض الأوراق التى تخص قضية الارض المتنازع عليها بينه وبين أقاربه ... كلفه ذلك أبوه ، وضن عليه بركوبة يمتطيها ليصل بها إلى العاصمة ، فليس له إلا أن يقطع المرحلة سعياً على القدمين ، ثم يرجع بعد قضاء هذه المهمة راجلاكما ذهب . وما كان ايدهني بهذا الامر لو أرب حياته العامة هنيئة رَغندة ، وأن له جوانب من معيشته تمنحه السرور والغبطة .

استمر دأبو المعاطى ، في سيره ، وكلما فكر في شيء تداعت أمامه مناظر حياته التاعسة منذ نهومة أظفاره . إنه شاب يافع يبلغ الثامنة عشرة من العمر ، حالفه سوء الطالع منذ شهد الضوء في هذه الحياة ، فقد قضت أمه نجها وهي تلده ، وفي اليوم التالي شب حريق في الداركاد يأتي علىكل ما فيها ، وكان المام الذي قضى فبه طفولته الأولى عام جسدب عانت الاسرة فيه أسباب العسرة والضيق . فتشاءم الاب والاهل ، بل سائر من في القرية ، بهذا الوليد الذي اقترنت بمقدمه عوامل البؤس والاسي . ونشأ بلغلام تحت سيطرة امرأة أبيه ، تغرى أباه بإبغاضه ، والتقزز منه ، والتشدد معه ولم يكن بالفتي الوسيم المشرق الطلمة ، الذلق منه ، والتشدد معه ولم يكن بالفتي الوسيم المشرق الطلمة ، الذلق منه ، والتشرت بمشاشته القلوب ، ويسترعى بحلاوة لفظهها

الأسماع، وإنما كان صموتاً منطوياً على نفسه، بائن القياءة، دميم الخلقة. فظل موضع امتهان أبيه وامرأته، يكلفانه أعمال الدار، فيؤديها صاغراً لا ينبس. وإذا جال فى القرية لم يُر إلا منفرداً ليس له من صاحب ولا من خدين. فإن صادفه أحدالعابثين فحاول مناوشته بسخرية لاذعة أو سباب جارح، تصامم عنه، وأولاه إهمالا وعدم اكتراث، وهو يجيش فى و جدانه شعور الترفع والازدراء!

ولما بلغ مباغ الفتوة انتهى إليه عب ألحقل كله ، فنهض به صابراً حمولا لا يلقى من ذويه على موفورجده جزاءولا شكورا . وما كان له إلا أن يُذُ عن ويستسلم لما أريد عليه ، وكيف يستطيع أن يرفع بصره إلى أبيه متحدياً إياه ، وهو يراه على الرغم من علو سنه جبار العزمة ، مهيب الكلمة . وهل ينسى مرة أنه عمل على أن يدخر مبلغاً من النقود فى مدى من الزمن مديد ، يبتغى أن يشترى به بعض ما تطمح إليه نفسه فى الاسواق . فنمسى إلى أبيه هذا الصنيع ، فاستدعاه إليه ، وطلب منه على الفور أن يخرج أبيه هذا الاستجابة لله ماعنده من المسال ، فهم الغلام أن يثور ، وأن يأبى الاستجابة لهذا الأمر ، فهوك أبوه على صدغه بكف جبارة أخمدت الثورة فى مستهلها . وسرعان ما امتدت يد الفلام إلى أبيه ، لا ليذود عن في مستهلها . وسرعان ما امتدت يد الفلام إلى أبيه ، لا ليذود عن

نفسه، بل ليعطى أباه ما جمع من المال والآمال ... وترك الغلام والده مطاطى الرأس ، يجر قدميسه ، وقد تحييرت في مآقية الدموع . وفزع إلى المسجد ، حيث أوك إلى ركن فيه ، فأسلم رأسه إلى ركبتيه ، واندفع ينشيج ويذرف العبرات . وأنبهته سعلة عريضة ، فال ببصره يتفقد من قدم المسجد ، فرأى الإمام في طريقه إلى المحراب ، يتعثر في خطواته المهدمة . . فنهض إليه يقبل يمناه ، وكان يلتي أبدا في رحابه أمناً ورفقيًا لا يأنسها من سائر الناس ، فسأله الإمام : ما خصيه ؟ . . . فأخذ يسرد له ما وقع من أبيه ، فربيت الإمام ظهره ، وطييب خاطره قائلا : أباك ا أباك ا أباك ا . . . أنت ومالك لابيك . . . كن طيبعيًا صبوراً تغنم ثواب الله . . .

ثم تحسس جيبه، ومد يده إلى دأبي المعاطى، وهو يقول: قد تجد يا بني في هذا المبلغ على ضآلته بعض ما يعوضك بما فقدت . . . وليكن قـر شا . . .

فرّد يدّ الشيخ فى أدب وتمنع ، وشكر له جميله ، وانصرف من المسجد أهدأ بالا ...

يقصب من جبينه وصادف في سيره قرية قام فيها سوق الاسبوع، فجاز بها ينظر ما يُعرض فيها من ألوان السلع ، واختلب نظرًه غوق كل شيء منظر الطعام ، فقد رُصتُ بعض الصواني عليها ومشويات يفوح قلتارها فيفغهم الآنف بأثركي الرائحة . . . فرجعت مه الذاكرة إلى أيام صباه الباكرة ، حينها شهد وليمة أعدها العمدة احتفالا بزواج حفيده ، فذاق مثل هذه الألوان ، وما فتي. منذ ذلك البوم يجد طيبها في فه . . . وأبطا ت خطاه في جو انب ويستنشق عبير تلك المطاعم التي تحلّب لها ريقه . . . ثم انساق بقدميه ليبتعد عن هذه الناحية ، ولم يلبث أن أحس بجوعه ، كِيسَـرا من الخبر البابس، وقطعة من الجبن القريش. وهم با ن يُسكت جَـوعته بقضمة ؛ ولكنه تذكر أن هذا زاده كله في رحلته الطويلة ، فعليه أن يحسنَ تدبيره حتى لاينفك قبل انتهاء ميمته وَ أُو ْيَـته . . .

واسترعى نظره ضريح شاخص على الطريق، لاحد أولياءالله. فسيد الخطا إليه ، وما إن داناه حتى أمسك بشبّاكه ، وقرأ له

الفاتحة ، ثم أخذ يتضرع ويبتهل ، ويمسحوجهه بيديه مرات ... وكان بجوار الضريح سائل مكفوف البصر يتلو بعض آى الذكر الحكيم ، وإذا برجل ممتط ر كوبة ، طهمة ، تدل سماته على اليسار والنعمة ، فأخرج كيسه المنسوج ، وأخذ منه قطعة من الينقود دسها في يد القارى ، ولم ينقبه إلى أن قطعة أخرى سقطت من الكيس ولكن وأبا المعاطى ، لحما على الارض فأسرع إليها ، وأخذ يقلبها بين أنامله فترة ، وكان القارى ، قد عاد يرفع صوته بآى الذكر الحكيم ، فألنى وأبو المعاطى ، نفسه يرفع عينيه إلى الضريح هنبة ، شم عدا في طريق الرجل المحسن الماضى على مطيّته ؛ فصاح به حتى استوقفه ، وناوله قطعة النقود التي سقطت منه ...

واستأنف و أبو المعاطى ، سيره يغادر السوق ، وقد اشتدت وطأة الشمس عليه ، وأحس بالهم ينمو فى نفسه ، والمتاعب تتجمع على كتفيه ، وعاودته ذكرى قطعة النقود التى ردها إلى صاحبها ، وتراءت لعبنه صوانى الرز والشواء ، فتضاربت بين جوانحه مشاعر الاسف والحيرة والقلق ... وانحنى ناحية على الجسر ، ووجد ألا بد من أن يخرج زاده من جيبه ، وأن يتناول منه مضغة ترد عنه السفت . وبينها هو جالس يأكل ، سمع هرير كلب على مقربة منه ، فوجده يرقبه عن كتب فى خوف وحدر م

وجعل الكلب يرسل إليه نظرات توسل واستجداء، وهو يلوك السانه بين فكيه، فحدجه و أبو المعاطى، بنظرات نكراء، وماعتم أن تناول حجراً قذفه به، فانطلق الكلب يعوى فى ذلة المقهور، وأقبل وأبو المعاطى، على طعامه يغمغم بالسباب!

ثم نهض يتابع سيره ، وقد بدأت الطريق تتشعب ، فانطلق يسأل هذا وذاك:

أين السبيل إلى الفاهرة ؟

ودخل المدينة دخول الحائر الو بجيل، وقد بدأ صخب الحياة يكتنفه، فطفق يستبدل على مقر كاتب المحامى في حي والسيدة زينب ، . . . وشارف المسجد بعد جهد ومشقة ، وقد أخذ منه الإعياء كل مأخذ ، فأراد أن يريح جسمه بجلسة، وأن يصلي ركعتين بجانب المقسام . وبعد أن أدى في المسجد الصلاة ، تعلق بأستار الضريح ينفض نفسه في مناجاة وضراعة ، ثم عدل إلى الباب ، فرأى أناساً متفرقين يجلسون ، فاختار مكاناً ظليلا رطباً جلس فيه ، وقد اعتزم أن يذهب إلى كاتب المحامى بعد أن يستوفى قسطه من الراحة والتفريج ، واستند إلى الجدار ، فغفا غفوة لم يَد رس مداها ، وعند ما استفاق من تعسته وجد الحركة تشمل المسجد ، مداها ، وعند ما استفاق من تعسته وجد الحركة تشمل المسجد ، والآرجل تكثر غادية رائحة ، ويينها هو في جلسته . مسترسل في

تفكيره ، إذ أحس شخصًا يقترب منه ، وشيتًا 'يلقي في حجره ، فر فع جفنيه ، و تطلع إلى ذلك الشيء ، وإذا به قطعة مغرية من النقو د، فأمسك بها يقلبها ، وهو ينظر إلى الذي ألقاها ، فهم أن يعيدها إليه ، ويخبره بأنه ليس بشحاذ ، ولم يكد يفعل حتى كان الرجل قد غاب في زحمة السابلة، فجعل يتفقده برهة دون أن يجدَّه. ولمحتُّ في فكره على الآثر مناظرٌ الصواني عليها الرّز المطرّز والمشويات الشهية . أليس هذا رزقا ساقه الله إليه ؟ أو ليس هو بركة والسيدة زينب، وساحتها الكريمة ؟ وتلفت كينة وكيسرة ، فلم يجد أحداً يُحيره التفاتة ، فأسرع بقطعة النقود يحفظها في جيبه ، ورغب في القيام ، ولكن هاجسًا هجس في خاطره أن استرح قليلا ، فني الوقت مندوحة ، وليس مقركاتب المحامى ببعيد . وفيها كان يسبح فى أخيلة شتى، وجد امْسرَأ في مـنصرَ فـَه من المسجد، أنيق الـِيزةً وجيه الطلعة ، تحف به شهائل الطيبة . فتصدى له سائل كسيح يَظلع على عُكازته ، ومدله يمينه مستعطفًا ، فنفحه الوجيه بقطعة من النقود ألهجت لسانة بالشكر والدعاء . فأحس . أبو المعاطى ـ على الفور بيده تمتد، وحكفه تنبسط، فوقع بصر الوجيه عليه، فأخرج قطعة من النقود ، وألتى بهــا إليه ، فاختلج قلبه وأسبل أهدابه متناومًا . وبعـد هنيهة استخنى شبح ذلك الوجيه ، فجمل أبو المعاطى ، يضم قطعة النقود إلى أختها الاولى ، ثم انسرح يفكر: ماذا يأكل ؟ وأى الالوان يختار ؟ وتباينت تـَصو ثراتُــه في شــَــهو ات الغـــذاء ا

ووجد نفسه يطيل الجلوس، فهنف به هانف : ألم يَحِين الوقت لآن يهب إلى كاتب المحاى لينجز المهمة التي قدم من أجلها؟ ولكن يده كانت على حالها مبسوطة الكف، وعينيه كانتا مطبقتي الاجفان. وسمع اثنين يتحدثان على مقرّبة منه، فيقو لان: حقاً إنه لسائل جدير بالإحسان ا

وهبتطت على يده فى الحسال قطعة النقود ، فخطرت بيال ، أبى المعاطى ، صورة القارى القاعد بجوار الضريح ، وهو فى جلسة الدّلة والمهانة ، فتحركت فى قلبه أشياء من الآنفة والدزة ، وتهيأ ليفارق مكانه ، فإذا امرأة عجوز تتوكأ على عصا تدنو منه ، وتضع فى يده على استحياء وصمّت قطعة من النقود لها قيمتها ، وتهمس فى أذنه ملحّة أن يسأل لها الله شفاء ابنتها التى أضنتها العلة ، فلم يتحرك فى بحلسه ، ولم يفتح عينيه لها ، واجتهد أن يقاص من قسمات وجهه تعبيراً عن معنى الإبتهال إلى الله ، وهو يهمهم بكلمات مضطربة لم يستبن منها حرف ، وعادت العجوز أدراجها ، وهي تقول :

الدعوة ُ من خُدام المقام هؤلاء ، ليس بينهــا وبين السماء حجاب . . .

وامتدت جلسة دأبي المعاطى، وعَسمر جيبه بقطع النقود، فاكاد الظلام يُرخى سدوله ، حتى فترت الحركة ، وانقطع سيل الزوار ، فنهض يلم شعثه ، ويستقبل الطريق يتحسس النقود، ويعدها مرة بعد مرة ، وقد أدار فى ذهنه أن هذا المبلغ من المال يعدل كسب أيام معدودات فى الريف ، عاملا فيها على أديم الحقل فى وَقدد القيظ ، مقاسياً ضروب المشقة والكد، وها هو ذا قد يسره الله له وهو فى جلسته الحادثة الوادعة ، أو ليس برهان رضا أسبغه الله عليه ؟ أو ليست هذه رحمة ربانية تستو جب من يداً من الحد والشكران ؟ ورفع بصره إلى السماء ، مبتملا إلى ولى النعم أن يديم عليه من عليه من عليه من عليه من عليه من عليه من عليه الله من عليه من عليه الله المناء ، منتملا إلى ولى النعم أن

وانساب يتصفّح الحوانيت متشمّماً يبحث عن طعام، ومَشَلَ أمام و جُمه الزجاج على باب أحد المطاعم، وقد فتنته من ورائها مناظرُ الشواء تتطاير رائحته شهية مغرية. فأعاد راحته إلى جيبه يتلس النقود، واشتبكت في رأسه أسراب الأمانى: لم لا تكون هذه الصرة نواة ثروة يشترى بها ثوباً أنيقاً يجمسّله، وقلنسُوة ترهو على جبينه ؟ ألا يمسكُ رَمَة ببقايا الزاد في

اللففية التى أعدات له ، ويحتفظ بما جمع ؟ وهنا ازدحت على خياشيمه روائح الشيو اه ، فما هو إلا أن اندفع نحو المطعم ، وملا بطنه بما لذ وطاب حتى اكتفى ، ثم خرج يتجشأ نكوكان ، وسار بخطوات أنقلتها التخمة ، وقد أحس الرغبة الملحة فى أن ينام ... وما كاد ينعطف فى أحد الازقة المجاورة حتى ألنى زاوية مهجورة بحوار خربة قد تمدد فيها أحد الصبية المشردين ، فانتحى مكاناً غير بميد منه ، فمهده لرقاءه ، متوسداً ذراعه ، ولم ينس قبل أن يُسلم للكرى مقلتيه أن يخرج نقوده ويعدها ، فرأى أنه لم يبق منها إلا فلول ، فقد مضى الأكثر الأغلب فهاحشا به بطنه من ألوان العشاء . فلبث يتأمل البقية الباقية ، ثم أحكم رئبطها ، ووضعها فى قرارة جيبه ، وهام فى أحلامه ، معتزماً أن يقضى مهمته مع كاتب المحامى من غده ، ويبرح القاهرة إلى بلدته ، مكتفياً بما راج له من عطية الله ... ا

ولما أهَـلت تباشير الصباح ، انبعث من مرقده ، فكان أول ما سنح لحاطره أن يتحسس ربطة نقوده ، فاطمأن إلى سلامتها ، وبنى عزمه على أن يكون فى يومه قـَـنوعـًا . فعرَّج على لفيفة الزاد التى جلبها من البلدة معه ، ففك و ثاقها ، وبسط ر قنعتها أمامه وجعل يرنو إليها برهة ... ومر برأس الزقاق باتع جو ال ، يحمل

صينية فطير ، وهو يصيح متغنّيبًا بما ضمّت من حُلو لذيذ . فد الهو المعاطى ، يده إلى زاده ليتناول أول لقمة يتباغ بهما ، فإذا ببده ترتد إلى قرارة جيبه ، وتستخرج ربطة النقود ، وسرعان ما استوقف بائم الفطير ، فابتاع منه واحدة ، والنهمها على الآثر ... ومأكاد البائع يضع الصلينية فوق رأسه ، ويستأنف سيره ، منشدا مقطوعته فى الإشادة بالفطير الحلو اللذيذ ، حتى و ثب إليه ، أبو المعاطى ، يبتاع فطيرة ثانية ، فثالثة ، فرابعة ... وألق نظرة على ربطة النقود ، وقد خوت عما حوت : ماله وللنقود يَتحسّر بطة النقود ، وقد خوت عما حوت : ماله وللنقود يَتحسّر على ما أضاع منها ؟ لقد تناول في طوره ، محمد الله ومنه ، وهو قاصد منه ؟ كاتب المحامى يقضى مهمته فى لحظات ، ثم يثوب إلى قاصد منه ينافر والنقود يتوب إلى المده راضياً ...

وسار مُنجدًا يدفع بِمنْسكبيه الهواء ، فما إن قطع الزقاق ، ومال إلى الطريق العام ، ووجد نفسه فى متسجه المسجد ، حتى شعر بخطاه تتئد : أيليق أن يقرع أبواب البيوت فى ذلك الوقت الباكر ؟ وهل يجوز أن يذهب إلى كاتب المحامى قبل أن يؤدى فريضة الصبح ؟... إلى المصلى إذن ...

 وقد عشش فى كل ناحية منها سائل مستقر" فى و كره ، كا نه مقامه الموروث ... و ثنى طر فه إلى الركن الذى كان يستريح فيه أمس حين قدومه القاهرة ، فرآه خالياً ... ها هى ذى الشمس قد سطع شعاعها مذ برهة ، ولم يعد لوقت الصلاة مستسع ، فسواء عليه أن يصلى الصبح الآن أو بعد فترة . لا جُناح عليه إذن فى أن يستمتع وقتا بنسيم الصباح البهيج فى ذلك الركن الظليل ، فأفضى إليه ، واحتله فى طمأنينة وسكون ، ومرت فترة لم يتحرك فى جلسته ، وقد أسبل جفنيه إلا قليلا ، وتظاهر بالنعاس ، فى جلسته ، وقد أسبل جفنيه إلا قليلا ، وتظاهر بالنعاس ، فى حله النظر خُلسة ، فاستبان له أن السائلين يتهامسون فى شأنه ، ويتغامرون به ، فأغضى ، ولم يُعبد لهم أنه فطن لشىء .

وشرع رُو اد المسجد يتو الهدون على أبوابه ، وأخذت قطع النقود تنهافت على يد و أبى المعاطى ، فكان يتلقطها ويدسها في جيبه عَدجولا ... ولا حظ أن من يمر به من المتصد قين يقف برهة يتفرس فيه ، ويتألم لما يبدو على وجهه من علائم البؤس. والمسكنة ... فأدرك أنه قد أوتى منادم معبرة تستدر الإشفاق . وما كاد يفطن إلى ذلك حتى ازدادت تلك الملام من وضوح ، وصحبَتْها أنات وترنيات تجتذب الانظار .

وطالت الجلسة ، وتوافر المسدد ، ورف على ذاكرة ، أبي المعاطى ، شأنه مع كاتب المحامى ، وو عده أباه أن يعود إلى المبلدة في يومه ، فاهتز في جلسته ضجراً ... ليس بالأمر المذكر أن يبق بالقاهرة يوماً ، على أن يعود لإ محالة غدا ، أليس له بعد أن أمضى في العمل المتواصل دهرا طويلا يسكنه ويجهد نفسه لمصلحة أبيه أن ينال حظه من المتعة يوماً ؟ القد اعتصر دمه في سبيل منفعة الاسرة والقيام على مرافقها ، أف آن له أن يستجم قليلا بعد طول الكد وفرط العناء ؟ وفوق ذلك لن تكون النقود التي جمعها من حقه وحده ، بل إنه سينشرك فيها أباه . وهل يبلغ به المحدود أن ينسى فصيب أبيسه مهما يكن من أمره معه ؟

أخلدَ . أبو المعاطى ، إلى هذه الفكرة ، واستقرّ فى جلسته ، يستنشق النسم العليل فى الركن الظليل ... ا

وانطوى اليوم ، و ، أبو المعاطى ، فى مكانه بجوار المسجد تهبيط عليه الحسنات ، في الله أن يأخذها حسنة بعد حسنة ويئودعها قرارة جيبه ، وهو هائم يتنقل بين التصورات والامانى . . وظل كذلك لا يستطيع براحاً ، وحين أحس بالجوع فى بعض النهار ، تبلغ بشى مما يطوف به باعة السوق .

وماكان له أن يبارح مكانه والناس بين مقبل على المسجد ومنصرف عنه ... فلما آذنت الشمس بالمغيب ، أبصر بالسائلين المرابطين حول المسجد ينفرط عقدهم سائلا فى إثر سائل ، هذا يحر عكازته ليتحامل عليها ويَظلع ، وذاك يحمل غير ارتبه على كنفه ، وذاك يستدعى غلامه ليقوده . فقام و أبو المعاطى ، يتمطى وهو يروض على السير أوصــاله التى خدرها طول القعــود . . .

و تغلغل فى الطريق، واخترق بعض الدورب، فوافق سائلا من كابوا معه بباب المسجد يميط اللفائف التى شهد بها يده إلى عنقه، وينزع الضهادة التى أدارها على عينيه، ثم ينفتل مستقيم العود، صحيح الجسد، يشق حجاب الظلام بعينين تلتمعان . . . و انتهت به قدماه و انتكذ . أبو المعاطى ، من الدر ب إلى الشارع ، و انتهت به قدماه إلى مطعم ممتاز، فملا بطنه مما اشتهى ، وقضى ليلته حيث قضى البارحة يهنأ بأعذب الاحلام . . .

وفى رونق الصبح، راع جماعة السائلين حيال باب المسجد أن وأبا المعاطى، قد شد يسراه بلفائف إلى عنقه ، وتوكا على عكازة غليظة ، وهو يَدْرُج في جهد وإعياد ... ثم انتهى إلى مكانه الختار فاحتله كسابق يومه، وماكاد يستقر في مجلسه، حتى تعالى

الحسيس حواليه، وتزاحمت الهمهمة، فتلفت فى خلسة فأبصر برفاقه يسد دون إليه النظر وهم يتغامزون. ولم يطل به المقام حتى أخدت عينه قادما من السائلين لم يره من قبل، وهو شيخ منتفخ الجثة، مترهل الاكتاف، ذو لحية شمطاء، يضع على رأسه عمامة خضراء، ويرتدى جبه تكاثرت فيها الرقاع مختلفة الالوان، وتتدلى على صدره سنبحة طويلة ذات حبات غلاظ وجعل الشيخ يتهادى نحو «أبى المعاطى» فكلما دنا منه لمحت على وجهه سيماء الدهشة والحنق. وما إن حاذاه حتى أخذ يصر بن فيه النظر ويصعده، واشتدت همهمة الرفاق، وتقاربوا نحو القادم الشيخ، يحيونه تحية احترام وتلطف. وسمع «أبو المعاطى» ذلك الشبخ يسأله:

ما أنى بك إلى هنا؟

فأجابه :

أتيت أستريح بجوار بيت الله، وضريح السيدة الطاهرة ...

- هذا مكانى ... فكيف ساغ لك أن تقتحمه ؟

ب الساحة فسيحة لمن يريد الجلوس . . .

ــ قلت لك هذا مكاني ، فعليك أن تتنحى عنه ١

فنظر إليه ﴿ أَبُو المُعَاطَى ﴾ نظرة متفرَّس ، وقال في شيء

من الازدراء:

ومن أنت حتى تطلب إلى أن أتنحى لك عن مكان أجلس فيــــه ١٤

_ قلت الك هذا مكانى، وقد اتخذته لى مَــثابة منذ خمسة أعوام، إذ ورثنه عن عمى، فكيف ساغ لك أن تنتهز فرصة تغيى لتحتله دونى ؟ ... وكان عليك قـــ بل أن تنضم إلى الرفاق أن تستأذننى ...

أو حسبتني مستجديا مثلكم ؟ إنما أطلب الراحة والتبرك بمجاورة الضريح المطهر ...

_ خلّ عنك هذا الهراء ... لم يسبق لاحد أن يأخذ ف هذه الساحة مكاناً إلا إذا أجزته ، وكينتُ له مجلسه لا يعدوه ...

فلم يُسبد و أبو المعاطى و حَسراكا ، بل لبث يقلب فيه البصر ، فشعر بقدم الشيخ تر كله ، وهو يقول :

قلت لك تنح ، وإلا فالعاقبة وبال عليك ا

وفى هذه اللحظة برز من المسجد رجل، فرمى بقطعة من النقود في حبحر وأبى المعاطى، ومضى ليطيسته ، فما كان من الشيخ إلا أن انقض على القطعة انقضاض الصقر ، ولم يشعر وأبو المعاطى، إلا وهو يثب على الشيخ، ويشد على يده، وينتزع قطعة النقود.

وفى لمح البرق ألني نفسه مشتبكاً معه فى عراك عنيف، واستمر الصداموقتاً ، وهما يتواثبان ويتغالبان ، والرفاق حلقـــــــة حولهما يتفرجون . وما زال . أبو المعـــاطي ، يستشعر َيقظهُ السطوة تسرى فى أعضائه ، ونارَ الحميّـة تتلظى فى قلبه ، وقســـد استحال كله أعصابًا نافرة ثائرة ، حتى وجد نفسه قد أخذ بخناق الشيخ وهو جاثم على صدره ، كيكيل له الضربات بجنُّهُ ع يديه . فتخاذل الشيخ، وَ نَدَّت عنه صيحات الاستغاثة والاستنجاد ، فنظر د أبوالمساطى ، وهو آخذ برقبة الشيخ إلى الرفاق حوله بعمين متنمرة ، ووجه ينم عن الافتراس والحميرة . فتصاغر الرفاق، و تدا خلتْهُم الخشية ، ولم يجرؤ أحد منهم على أد ينتصر للشيخ العميد . فلمح . أبو المعاطى ، في هيئتهــممنى التَّهيب له ، والرهبة منه ، فارتد إلى فريسته يقلب فيها النظر ، فاطمأن إلى أن الشيخ لم يعسم بقادر على أن ينازله ، فتركه ملقى على الأرض ، وعاد إلى مكانه ، وجاس فيه جاسة التأسّر والتنفخ . وهو يسوى من ثيابه ، ويمسح التراب عن وجهه . وبعد قليل نهض الشيخ كسير الخاطر ، مستكين النفس ، والتبذ ناحية قصيَّة يأمن فيها جانبذلكالشيطان العنيد ... وتنفس وأبو المساطىء تنفس الارتياح ، وتلمس هـرَ اوَ ته ، فقرع بهـــا الارض في نشوة ، وقد برقت على فمه أن يتخذها للتعبير عما يجيش فى نفسه،خانَـته ولم تكن له عونــًا ... وأى سمع ؟ إن هو إلا سمع تقيل مضطرب ، لايُـنيــله إلا أطراف الحديث منقوصة تزيده من حيرة وقلق ...

فأما كل ما أبقته له الـكارثة من قدرة وسلطان ، فهو تلك الحشرجة المحتبسة الني يصعدها بين حين وحين ، حاملة إلى عالم الاحياء رسالة الآلام والحسرات ا

تَـوقد نشاط , فتنة ، وحمـيّتها فى خدمة البيت ، فاستخنى ذلك الشبح الركين الصموت المتقوس الظهر الذى كان يجرجر خطاه ، وظهر مكانه مارد فارع القامة ، جبار الخطوة ، سريع التنقل ، يقلب حواليه أنظار صقر مفترس ! .

أقبلت و فتنة ، غداة الكارثة على حجرتها حيث اعتقلت زوجها ، فجلست عن كشب منه ، وشاع بينهما الصمت هنيمة ، وكان الرجل يبذُل جهده محدّقاً في وجه و فتنة ، كأنه يحاول أن يكتنه ما يحيط به من مظاهر ، وأن يستجلى ما تُكنه سريرة تلك الزوجة من مشاعر ...

وكانت تبدو على غضون وجهه مهانة الضراعة، وذلة السؤال، وكلما أمعن فى التحـــديق والتطلع إلى ، فتنة ، تشاغلت عنه ، وأشاحت بوجهها دونه ، فلا يملك إلا ترجيع الانين ...

وبعد َ لاى نطقت المرأة تقول:

ربما عجبت : كيف لم نُحضر لك الطبيب ؟

وتخايلت على فمها ابتسامة نكراء، وواصلت قولها :

وما نفع الطبيب يا سيد الرجال ؟ إنه لا يؤخر الاجل عن موعده ، داؤك واضح ، وأنا عارفة به ... أصيبت به أمى فلم يُمهلها أكثر من يومين ... يومين اثنين ا

واختلجت عين الرجـل ، وتشنج شـد قاه ، وتابعت المرأة قولها كأنها تتحدث إليه حديثاً مألوفاً لا غُـبار عليه :

وفيم العجب؟ كلنا إلى الموت نصير ... لقد تبيّن لى أن حالتك كحالة أمى سواء بسواء .. وإن إخلاصى لك ليدعونى أن أصارحك بهذه الحقيقة ، حتى تتأهب لتلقى وجه الله !

وصمتت ﴿ فَنَنَهُ ﴾ وقد تلهّب في عينها وميض ساطع ، ثم همهمت تقول :

ولكن لست أدرى بأى وجه تلق الله ؟ وقد أسلفت فى دنياك هذه المخازى التى يتورع عنها الآبالسة والشياطين ... كنت تسحسب أنك قادر على أمرك إلى الآبد، وأن الدنيا تسدين المت على الدوام، فكظ المت تُسطعت و تصعد، و "دل إلى من هم دو تسك نظرات إصغار وإزراً ... حقاً ما أعظم المرض من قاهر ، وما أقوى

'الموت من مُدُلُا... ما برحت في مهلة من عمرك للتو بة والاستغفار ، تطهيراً لنفسك ، واستدراكا لامرك ا ... ولكن لا تحسبن أن الموت عملك أكثر من يومين ، مضى منهما بعض وقت ! ... إن أمى حَدَات بها مثل كار ثتك ... في مثل الوقت الذي حلت بك فيه وقد ما تت في مَبر ق الصبح ... وستموت أنت في هذه الساعة عنها إلا محالة ! ...

فند"ت من صدر المريض زفرة مرتعشة ، وغارت فى وجهه الاخاديد، وعالج أن يُحد من بصره السكابى، فتر جحت كحد قناه، كأنه فى اضطرابه وحيرته، يتساءل

أيقظان هو يرى ويسمع ؟ أم نائم تتيه به الاحلام ؟ ... أهذه ح فتنة ، قسمًا لته تحدّثه؟ أم ذلك شيطان تشمسكل له فى صورتها وزيّها ، وجعل يَرُوعه بالمنكر من القول ؟

وفطنت المرأة إلى خوالجه ، فرفعت من صوتها ، وهى تتدانى إليه قائلة :

كل ما تسمعه وما تراه حق لا مسحة للخيال فيه ... إن ازوجتك دفتنة ، بلحمها وعظمها هي التي تتحدث إليك ... إنها امرأتك الوفية المخلصة التي صدّقت في حبها إياك ، ووهبتك حياتها جمعاء ، فكافأتها بأشنع الجحود وأقبح الجزاء ... لقد

أشركت بها فتاة حقاء غريرة ليس فيها ما يغرى الغلب أو يسر الناظر ... لا يتبادر إلى ضعنك أنى غيور ... وهل أحفيل بتلك الحشرة الممقو تة فأحسب لها أى حساب؟ ... ماذا بها من ميزة تبعث غيرتى ؟ ... إنها علمل من كل شيء ... شدة ما ستقتم ذوقك! ... لو كنت اصطفيت لك زوجة ذات حسن باهر ، أو سليلة بيت ماجد ، لالتمسنا لك المعاذير ، ولكك لم تظفر الا بفضالة عما تلفيظ الآزقة والحارات ، فرفعتها بغفلتك إلى صفوف الزوجات الكرائم ... على نفسك جنيت ، وعليها أيضاً كنت جانياً!

وكان , عثمان أفسدى ، فى مرقده ، تؤداد غضون وجهه ، واختلاجات عينيه ، على حين استأنفت المرأة تقول فى صوت أبح ، كأنه فحيح الأفاعى :

انصّے لك أن تهدى من ثائرتك ، وأن تهو ن على نفسك ... لا يجـدى عليك الحنسق فتيلا ، لا يطيل من أجلك كثيراً أو قليلا ... بل لمــله يسرع بك إلى المصير المقسوم ، والقضاء المحتوم ... ولو مت قبل الموعد المضروب الافسدت على التدبير، ولزججت بى فى حَر ج وضيق ... لقد رتبت المورى على أنك مُسلم مُسلم وروحك مع الفجى ، فأوصيت باحتفار قبر جديد لم يطأه

جثمان ، وسنقيم الك على القبر بناء من المرمر المصقول ... فأما الجنازة فقد هيأت لها نظاماً سيكون غاية في الروعة ... إني امرأة تعرف الواجب للعشير ، وإن أنكر هو ما كان واجباً عليه ... إن كان لى عيب فهو الإحسان لمن أساء إلى ... وعلى الرغم من كل هذا أراك ممعناً في طيشك ... أراك تُغمض من عينيك ، كأنك تأبي الاستماع لما أقول ... ولكنك تنسى أنك لا تسمع بعينيك ، فإن لك أذنين ضخمتين تلتقطان أخي الهمسات ا

واندفعت كالسيل تتم قولها والرجل مطبق أجفانه ، يتجرع تلك السموم التي تَدنفثها تلك المرأة جملا وكلمات . . .

وما زالت المرأة تقول ، حتى بَحِ صوتها ، وجف حلقها ، منها منه الله القلة تكرّع منها ، ثم رجعت بها إلى الرجل ، ووضعت حافتها على شفتيه ، فما إن أحس نداوة الفّخار حتى انفرجت شفتاه، وهو على حاله مغمض العين ، فصبت المرأة فى فه جُرُعات قلائل، وهي تعينه على أن يُسيفها في غير عناء ... وكانت تردد:

لا تظنني أسى معاملتك ، وأنت في هذه الحالة ... سأقيم على خدمتك حتى الرمق الآخير ، أعنى حتى مطلع الفجر ا...

وانصرفت عن الحجرة وقتاً ، ثم قفلت إليها تحمل صحفة فيها حساء ، فقر بنها من الرجل ، وانحنت عليه تسقيه بالملعقة في رعاية؟

كأنها تطعم طفلا قريب عبد بالفطام ...

ولما فرغت من إشرابه الحساء، أقبلت عليه تمسحفه، وتعني بترجيل شعره، وتنظيم فراشه، ثم همهمت تقول:

لعمرى إن موتك ليشق على ... مهما يكن من أمر ، فما أقسى ساعة الوداع بين اثنين جمعت بينهماالمعاشرة جنبا إلى جنب. فترة من الزمن !

كذلك كارف شأن وفتة ، مع وعثمان أفندى ، وهو طريح سريره ، أسير علته .أما شأنها مع و بهية ، فقد دخلت عليها فى حجرتها ، وأبلغتها فى صرامة ألا تبرَحَ الحجرة ، وألا تصدر منها نأمة أوصيحة ، وإلاكانت العقبي أو خم ما تكون ...

ثم ألقت عليها نظرة ذابت من حرارتها أعصاب وبهية ، فلم تملك ردا ، وما هي إلا أن غادرت و فتنة ، حجرة ضرتهـــا ، وأحكمت إغلاق بابها بالمفتاح ...

و لبئت دبية ، فى الحجرة طول النهار ، حبيسة ، موزعة الحواطر ، تشردها الهواجس كل مشرّد، ولكنها لم تجد سبيلا إلى غير الطوع والإذعان ...

لبثت فى محمبَسها تلك الساعات الطوال ترهف السمع، فلا يتماهى إلى أذنها إلاخفقأقدام . فتنة ، يحمل إليها الرهبة والفزع...

ومتى انقطع خفق ُ هذه الآقدام رزح فى الحجرة صمت ثقيل يخمد الانفاس ...

وماكاد ضوء الا صيل ينهزم فى معركة الليل المقتحم ، حتى ضاقت دبهية ، ذكرعنا بما تجد من ظلمة وإيحاش ، واستشعرت ثورة مباغتة ، فشرعت تطرق الباب فى إصرار ، فما هى إلا أن قدمت و فتنة ، فدخات من الباب كالإعصار ، ووقفت قبالتها تردد فى صوت مختنق :

ما هذه الجِـنَّـة ؟ ألا تشفقين على المريض؟

وألفت على « بهية ، نظرات سراعًا ، ففطنت إلى أنها تتحيل للهرب والانفلات ، فأمسكت بها تنهال عليها لطمًا ولكمًا ، حتى أوشكت أن تسليها الحياة ...

ثم وقفت تنظر إلى «بهبة ، وهى مصروعة تحت قدميها ،كا تنظر النمرة الصارية إلى فريستها بين المخالب ... وانبرت تقول : يظهر أن الله قد كتب على الشقاء في دنياى ... حتى لقد أراد لى في آخرة عمرى أن أتولى تهذيب أمثالك من حيثالة الإشرار والا وغاد ... أعلى البوم أن أصلح منك ما أفسدته السنون ؟ لا بأس ... إنى تحمول صبور ، وسأضطلع بهـذه المهمة ، لا آلوجهدا ... وخرجت ، فتنة ، من الحجرة ، فأحكمت إغلاق بابهـاكا كان . . .

وجدَن الليل يضرب رواقه على هذه الدار ، حاملا في تضاعيفه ثمال الهموم وعظائم الا سرار . . .

وأبت وفتنة ، أن تضى حجرات الدار أى مصبـــاح ، فلم يخدش حندس الليل فيها إلا فلول مهزولة من أضواء الطريق ••• وازدادت الظلمة و حشة ورهبة بما ران عليها من صمت عميم !

ولد ، لفتنة ، أن تجوس خلال الدار، تخترق ذلك السُّجف المتكاثف من الصمت والظلام ؛ كأنها شيطان مريد يهيمن فى كهفه على روحين سجينين ا

وأخيراً شاءت إرادة ، فتنة ، أن توقد شمعة على رأس زوجها المريض ، زاعمة له أنها تريد إمتاعه ببصيص من النور ، قبل أن يُحرم في مطلع الفجر نور الحيــاة ، ليستقبل إلى الابد ظلمة القبر ا ...

وعلى الرغم من ذلك السكون المطبق ،كانكل شي. في كهف الشيطان يشعر بتيار خني من البقظة والانتباه ...

يا لهذا الليل العجيب فى ذلك الكهف الآسود ا لم يعد ليل نوم وراحة وسكون ، ولم يعد مَثابة اطراحالهموم،

ونسيان للمتاعب ...

إنه الساعة ليل تحوم فى جوانبه الذكريات الآليمة ؛ كأنها الحفافيش تدف بأجنحتها مذعورة غضني ...

وما زالت تلك الخفافيش تتنقل فى حجرات الدار ، حتى بلغت مأوكى « بهية ، فى ركن من أركان المحبس ، فما إن أحدقت بها تضرب رأسها فى شدة ، حتى هبت « بهية ، تطلق من حلقها صرخة مكروبة ، تتبعها صرخات ، لا تدرى أهى تأوه و توجع؟ أم استغاثة و تضرع ؟

واندفعت فى بكاء وإعوال ، فبلغ عويلها سمع عابر سبيل ، فوقف يتطلع إلى نوافذ الدار هنية ، ثم تنهد ، ومضى فى طريقه بردّد:

الدوام لله يا . عثمان أفندى ، ا

وأقبلت و فتنة ، على حجرة و بهية ، مهتاجة مُحنَّقة ، فما إن للحت و بهية ، شبحها ، حتى هجمت عليها هجمة مستبسل مستيس ، وما أسرع أن التحم الخصهان ، ولج بهما التطاعن والتقاتُل فى صمت لا يقطعه إلا هرير الأنفاس ...

وانجلت المعركة عن دبهية، موثقة مكمة الفم ملقاة على الأرض تتلوى في جهد وإعياد... وأما دفتنة، فواقفة مجنّحة

الذراءين، يتفصد وجهها عرقا ... وبعد قليل شرعت تقـــول متلاحقة الآنفاس:

لعنك الله من شيطان فى ثوب إنسان ... شدما كنت مخدوعة بك ، وحقا لقد استطعت أنت فى هذه الفترة الماضية أن تخنى عنا ما انطوت عليه نفسك من أذية وشر... ما كان أمهرك فى الظهور بمظهر المسالم الوديع ، ولكن ها قد بَرح الحنفاء، وانكشف الغطاء ، فلم يكن بدمن أن آخذك بالشدة ... ولست ألام على ما أفعل ، فالشر لا يُحسَمُ إلا بشر ...

وتركت دفتنة ، الحجرة ، واستعادت الدار ما كان فيها من وحشة الصمت الثقيل . واستأنفت خفافيش الذكريات سعيها في جوانب الدار تضرب الرءوس بأجنحتها الشداد . . .

وكان الليل يسرى ... يحس السجبنان ... وعثمان أفندى ، و دبهية ، ... شراه بطيئًا بطيئًا ، كائن دقائق الوقت تئودها القيود والأصفاد ، بل إنهما ليشعران بأن الزمن يدركه الإعياء ، فيقف بين الحين والحين جامداً فاقد الحراك ... على حين تشعر فتنة ، بأن الوقت يمضى قدُما ، كائما يقطع مراحل الليل توثبا ، فتعجب لسرعته ، وتخشى أن يفو تها تحقيق ما اعتزمت من أمر ، في مطلع الفجر ... في تلك الساعة المرهوبة التي تراها مَفصيلا

بین حیاۃ وموت ا

ذلك كان شعور أهـل الدار نحو الزمن فى سيره ، والزمن منطلق لطيتـَّه ، يُـلقى على هذا الكهف العجيب ظلال ابتسامته الخالدة ، تحمل فى تضاعيفها السخرية والاستهزا. ا

وكان المريض قد أخذته سنة من النوم، فأنهمته حركة طارئة فاجتهد على بصيص الشمعة المتخاذل أن يتبين ما طرأ ، فطالعه مشهد انخلع له تجنانه ، إذ رأى ، فتنة ، تدخسل الحجرة وهى تجرجر جُسماناً مو ثقاً كيند عنه أنين خافت، وما لبثت أن ألقت بالجسمان على مقعد قُبالة مَ وقد المريض ...

وعالج وعمان أفندى ، أن يُحدّ بصره ، حتى لكا ن حدقـ تسيه تهمّان بالانفكاك عن محسّجر منها ، ثم شق عليه ما يرى ، فا محمّ أن أطبق جفنيه من حَرَع ...

ووقفت د فننة ، وسط الحجرة ، وقد وضعت يديهـا فى خصرها، وبدت مرفوعة الهامة ، براقة النظرات ، مربدة الوجه منفرشة الشعر ، تنخايل عليها الظلال متراقصة خلف بصيص الشمعة الخايسـة . . .

ياليه من شبح راعب مفزّع ا لكا أنه كائن من عالم بعيد ، لا يَمُنت بصلة إلى ظهر الأرض، عالم الخوارق والطلاسم والأساطير ١٠٠٠

وإن المريض ليرتعش جفناه ، فتنفُذُ منها نظرة إلى ذلك المشهد، فسرعان ما يخيسًل إليه أنه قد انتقل هو وزوجتاه إلى الدار الآخرة ، وأن المكان الذي يحتويهم الآن ليس هو إلا ركنا من أركان جهنم يتلقون فيه عسير الحساب ، وأليم العذاب ا

وعلى حين فجأة ، ارتفع صوت . فتنة ، قائلا :

الفجر يتدانى والموتُ يقدترب ... وإنى امرأة أعرف ما يلبق : ولا أقصر فى أداه واجب ... وكان حقيقاً بى أن أجمع بينك يا دعنمان أفندى ، وبين زوجتك الآخرى فى ساعة الوداع .. ثق أن ضلوعى لا تنحنى على ضغن ، وإنما أما مخلصة صافية غاية الإخلاص والصفاء . وليس الذى يبدو من حدّتى وعنفى إلا عارضًا على الرغم منى ، فأنتما تصفطرانى إلى ذلك أشد الإضطرار ... هذه دبهية ، أمامك يا دعثمان أفدى ، فتمل مَرْ آها ، وتمتع من ريّاها ، ولتغتنم هى أيضيًا هدنه الفرصة فتشاركك فى التملى والتمتع ، ولكن إيا كما أن تنسيًا الشكفير عن خطايا كما ، والاستغفار من ذنو بكما من سوء معاملتكما لإنسانة لم تنلكما بأذية ، ولم ترد بكما أى ضر !

وصمتت المرأة لحظات ، ثم استأنفت تقول ، وقد بدأ صوتها

تشبع فبه نيرات من التحسر والتحزن:

ماذا كان منى يا د عثمان أفندى ، حتى تجزيني جزاءك القاسى ؟ ألم تذق على يدى شَـَهْدَ السعادة حُـلواً مصنى ؟ اذكر سوالفَ أيامي معك ، ووازن بينها وبين حياتك من قبل ، فإنك واجد أني كنت لك يُمنا و بركة ... أفى طوقك أن تنكر حي إياك حبا ليس وراءه مطمع لمستزيد؟ وهلكان في مستطاع امرأة أن تحبك فوق ما أحببتك ، وأن تكون بك متلطفة كما تلطفت بك ؟ لا تخدَ عنك الظواهر المزورَة، والكلمات المعسولة، من تلك التي ضمنها إليك ، فأنت أعقل من أن تجوز عليك مثل مذه الاعاديم 1 وهنا أخذصوتها يرق ويتحنن وتنتابه رعشة، وإذا هي تقول: مها يكن من أمر فإني لك مسامحة ، وكذلك سامحتُـك أنت أيضا يا دبهية ، ... ليس لى إلا أن أوثرَ العفو في هذه الساعةً المرموبة التي تقترب فيها طلائع الموت . . . ليس لنا جميعا في هذه الساعة يا « عثمان أفندى » إلا الموكدة والتصافى ... ليس لنا إلا إسبال الستر على ما كان ... في هذا الوقت الفاصل أجاهر ُك في غير خجل ولا حيا. ، أمام ضرتى ، بأنى ما زلت أحبك ... هذا حق ... فما بَرِ ح حي إياك يَعمُسُو ْ جوانجي ! ... وَ شَرَ قَتُّ . فَتَهُ ، بِدَمَعُهَا ، فَإِذَا بِهَا ، عَلَى حَيْنِ فَجَأَةً ، تَهْبِطُ

على تحافة السرير ، وترفع الصمام عن عاطفتها المكبوتة ،فاستبدت بها نوية جياشة من البكاء ، وقد دست وجهها فى ثنايا الفراش ، ويداها متشبثتان بحواشيه ...

وأخيراً رفعت ، فتنة ، رأسها ، وقد ذكرت شيئاً أثارها ، نتلفتت جزعة تهمهم :

يا لله ! ... يا لله ا ... شدّما يهمل الإنسان واجبه في سبيل عاطفته ... ولكن الزمن لا يعرف للماطفة معنى .

ونهضت صُلبة القامة ، خفيفة الحركة ، وقد أحست كأن أثقالا كانت تنو'ه بها قد و ضيعت عنها. وما أسرع أن كفكفت عبراتها ، وستبان على محيّاها إشراق ...

ووقع بصرها على الكُنُومة المطروحة على المقعد، فقصدت تصدّها، وشرعت تحدُّلُ وَثارَقها، وتنزع الكمامة عن فها، وهي تهينم :

ليس الوقت يا دبهة ، وقت حقيد وانتقيام ... نحن الآن على عتبه الموت ، فلنغسل أوضار الماضى ، ونعيد أنفسنا لمرضاة الله ... هنالك فى العالم الآخر سنحيا ثلاث نساء فى عصمة زوج واحد ... هذه إرادة ألله .. ولكننا سنحياحياة هانئة ؛ لأن الدار الآخرة لا مكروه فها ولا هوان 1...

وأضحت دبهية دطليقة لا قيد ولاوثاق ... ولكنها ظلت على مقعدها بلاحراك ... أسمعت قول دفتنية ، ووعته ؟ أم لم تملك له سمعاً ؟ أفي غيبوبة هنى ؟ أم دهاها شي. أخرجهـــا من عداد الاحياء ؟

والتفتت د فتنة، إلى د عثمان أفندى ، وهى تقترب من فراشه وتقــــول ·

ستجمع بين ثلاث زوجات ، والكنك لن تعرف إلا العدل بينهن ، فتكفل لهن جميعاً عيشة رغيدة ؟

وانتنت عليه تحتضه وتقبله ، ثم فارقته فى ثبات وسكينة إلى النافذة ، ففتحتها . فآنست لمحات السّحَر تضى الآفق ، فأغلقت النافذة وانجهت إلى عقب الشمعة الهزيلة ، فتناولته بين أصابعها ، وألقت على صرّة من متاعكانت عن كشّب من فراش الزوج ... وما أسرع أن اندلعت السنة اللهب ا

وانثنت و فتنة ، إلى مرآة على منضدة الزينة ، فجعلت على ضوء اللهب المتوهج بمشط شعـــرها ، وتصففه ، وتُـطر يه بالدهان ، وتستكمل زينتها بالتكحل والتعطر ...

وبلغت من ذلك مأر َبَهِــا على عجل، وخطت إلى الباب ركينة القدمين، وعيناها تتيه نظرا تها كانهما تجوسان خلال

أٌ فق بعيد ...

وبلغت الباب، فا خذت بمصراعه، تفتحه، وأشارت بيدها كا نها تا ذَن ُ لظارى ً بالدخول ...

وعادت إلى جانب السرير تجلس على الآرض، وقد توغلت النار تا آنى على الفراش، والمرأة تحدق أمامها ذلك التحديق التائه، وقد تخايلت على فمها بَسمة عجيبة ، لاتدرى: أبسمة روح من الملائك هي ؟ أم بسمة شيطان مَريد ؟ .

وكانت شفتاها تختلجان بهذيان غير مبين ١ . . .

ابتسامة خبيئة، وأخذ يرمق جمع الرفاق بعسين ملؤها السيطرة والاستطالة. وتفرق الجمع في سكون، كل يسعى إلى زكنه المختار... وعجب وأبو المعاطى، من نفسه : كيف استطاع أن يذل هذا الطاغية، وأن يقهر ذلك البنيسان الشامخ، وأن يجعل رأسه في مواطني الاقدام ؟ ولسكنه تذكر أطراف حوادث وقعت له في الحقل، فرة كبح جماح ثور أفلت من محراثه، ومرة أدار ضافية ثقيلة بقوة عصد يه ... واتسعت ابتسامته، حتى أضاءت جوانب محيناه، ولم يطل به المقام حتى أحس قدمين تبد بان عن كتب منه، فطأطأ رأسه، وقاص قسمات وجمه كا لضارع المتألم، وتمتم بألفاظ حبيسة. فسقطت قطعة النقود في كفه، فأودعها من فو ره جيبه، واستأنف تمتمته آمنا...

وفى غداة اليوم التالى ، هب وأبو المعاطى ، من نومه مبكرا، وعجيل إلى مكانه من المسجد ، فما إن أشرف عليه من بعيد حتى لاحت له العيامة الحضراء تحتل موضعه المكين ، فاندفع مهرولا وقد شد على هراوته ، وإذ قارب المكان وجد شيخ أمس متمكنا في جلسته ، تحبط به شير ذمة من أتباعه ، فاتجه وأبو المعاطى ، إليه صامتاً ، وما شعر إلا أن امتدت يده في قساوة وغلظة تأخذ بتلابيب الشيخ و تقصيه عن مكانه . ولكنه لم يكد يفعل ، حتى بتلابيب الشيخ و تقصيه عن مكانه . ولكنه لم يكد يفعل ، حتى

رأى الانباع يتا لبون عليه ، ويتقسمونه ضربا وجيعا ، ولكما شديدا ، فأحس ثقل الوطأة عليه ، وتوقع الهزيمية توشك أن تحيل به ، ولمعت في مخيلته حسنات النقود وهي تنهمر على حجره ، وتمثلت لخياشيمه روائح الشواء يَطَعَمه شهيا ، فإذا الهير أوة تستيقظ في يده تخضي . وفي خطفة البرق رام يخيط بها في الجمع خبط عشواء ، مشمرا في متابعة الضرب ذات اليمين وذات الشيال ، فاهو إلا أن تقو ض الجمع عنه ، وولوا فرارا منه ، غير مصيخين إلى نداء الشيخ واستغاثته . وتقسدم قرم من الاتباع الذين لم يكن لهم في المركة نصيب، فتقرب من وأبي المعاطي، وهو يصيح :

فليحمك الله ... ليس للأمر إلا أنت ! ...

وهنا تعالمت صيحات تؤيد قول القرّم ، وأبصر دأبو المعاطى، الصائحين يتداندون منه ، ويتلطنفون به ، وينفضون الغبار عن جلبابه . فعاد دأبو المعاطى، يتخطر فى خطوات وميدة إلى مكافه المعهود ، واقتعده مزهوا منتفخ الصدر . . . فأما ذو العهامة الحضراء ، فقد كان يرتد إلى الناحية القصية التى لاذ بها أمس ، وارتمى فيها متكورا ينكش بعضه فى بعض ا . . .

وفى اليوم التالى ، تجانبى ، أبو المعاطى ، قُبالة المسجد وهو يضع على رأسه العمامة الخضراء الضخمة ، ويرتدى الجبة المتكاثرة الرقاع ، المختلفة الألوان ، وعلى صدره السبحة ذات الحبات المائة الفلاظ وقد النف حوله الاتباع يحيونه تحية التودد والإكبار ... ثم جعل يتهادى فى مشيته ، حتى وصل إلى مقعده الظليل ، فاطمأن فيه ...

وطاف برأس و الشيخ أبي المعاطى ، طيف والده ، وهو يسائله عما فعل ، وعما ادخر من النقود . فشعر بالهر اوة تتحرك بين أنامله، فدق بها الأرض بضع . دقيات وقد كشير عن أنيابه . وانبعث من حَلقه قبقية "شيطانية ساخرة ا ...



ذوج وصرتان

كان وعثمان أفندى ، رجالا و ثيق الأركان ، أمسيل إلى البدانة، عتقن الوجه من أثر الشراب ، ولكنه حسن الصورة ، أنيق البزة ذو شارب مسنون ، وعلى الرغم من أنه كرَّف على الستين ، فقد سلت أسار يره من عبث السنين ، إلا ما تلمحه من تلك الرَّعْشة التي تنتظم يده حين يمدّها إلى الكاش ، أو يشير بها للتحية .

وقد ألم الناس أن يروا «عثمان أفندى ، مُسلّم الاوصال، فلم يكن يدور فى أخلادهم أنه يقع يومنًا فى إسار المرض . فلا غَر و أن تسرع إليهم الدهشة حين تراى إليهم أن الرجل أصابه الفالج بفتة ، وأنه نال منه أبلغ منال ، حتى لقد أشنى على هُلك وشيك ، وكأن الموت مطو ف ببابه ، يهم بأن يطرقه ...

عجب الناس أشد العجب بما سمعوا، فإنه لسَيقر فى أذهانهم أن الموت يهسادن أمثال ذلك الرجل المتين المهيب، فكانوا إذا مر أحدهم بداره. تعمهم قائلا:

الدُّوَامُ للهِ ا

كان . عُمَان أفندى ، يقيم مع روجتيه فى داره التى بملكما

فى حى د السيدة زينب ، ... وقد رضيت زوجتاه أن تضمهما دار واحدة فى طاعة ذلك السيد المهيمن . ولم يكن أحد ير ناب فى أتن السعادة ضاربة على الدار رُوَاتها ، وأن أهلها يحيون فى أمن ونُهمى ، فبذلك كانت تجرى أحاديث الحلق...

و إذا كان لكل شيء آفة ، فإن الآفة التي أصابت ، عثمان أفندى ، أنه لم يُر زق بالدر"ية ، فظل في الحياة فرداً ...

وقد أنعم الله على الرجل بدخل كريم سوّغ له أرب يعيش مرَ فَـّها طِيب المأكل والمشرب ...

ومهما يكن من صلابة الرجل فيها يرى، وعناده فيها يريد، فقد طبع على سخاوة الـكف، وكرم البذل، لا يألو جهدا فى تنعيم زوجتيه وأقرار أعينهما بما تشتهيان من متاع.

و إحدى زوجتيه تدعى دفتنة ، قطعت فى طريق الحياة نصف قرن ، واستأنفت السير لا يظهر عليها إعياد ... وهى فارعة القامة عجفاء ، قوية العضلات ، تستبين وعورة أخلاقها فيها تبعثه عيها من نظرات نفاذة عنيفة ، وفيها يرتسم على وجهها من قسمات جهمة قاسية ...

كانت فى شبابها ذات حظ من ملاحة ، لبقة " بالتخطر والتثنى، بصيرة بتصويب النظرات من جفن مكحول. ، يدفعها المرح إلى

فنون من الندلل المطوى على إغراء...

فاكاد ، عثمان أفندى ، يتعرف إليهاحتى استجابت لها نفسه ، وهفا فؤاده ، وما هى إلا أن تم بينهما زواج ، فوهبته هى قلبها أجمع ، وفنيت ف حبه ؛ فنعم فى صحبتها بعيش صفاء وهناء .

يَيْدَأَن الدهركا يقولُون قُللَّب، لاتدوم له حال، فبعد أن اشتف عمان أفندى واستمتع بما اشتف عمان أفندى واستمتع بما لها من شباب غض، لوكى رأسه عنها، حين أحس أنها تخطت عصر النفتح والازدهار، ولم يبق لديها ما تمنح من عطر الزهرة الفواح، ونضرتها البهيجة ...

مضى د عثمان أفندى ، يتطلع إلى زهرة جديدة فوقع اختياره على د بهبة ، ... وهى فتاة فى ركيتى الشباب ، وربيع الحسن ، فتزوجها ، وحملها إلى داره ، ولكنه أبتى مكانة الصدر لزوجه الأولى .

ولكن ما نَـَفْـعُ ، فتنة ، بأن تـكون صدر الدار ، وأن يكون لها المقام الآول ، وهى تحسّ بأنها شوركت فى رجلها ، وفقدت قلبه ، بعد أن أفنت أكرم عمرها وفاء لزوج لم يُمؤثر الوفاء !

ولقـد راب , فتنة ، من جديد أمرها أنها قد استشعرت عاطفة غريبة لاتفتأ تنمو ، وإنها لتزداد على الآيام من تضرّم

واتقاد ... أهى عاطفة ذلك الحب الأصيل يريد أن يظل المالك المسيطر ؟ ... أم هى عاطفة حقد مكين ينزع إلى التشنى والقيصاص ؟ . . . أم هى مزاج من عاطفتين متناقضتين من مقت وتعلق ، اتخذ من سريرة وفتنة ، مسرحاً للتقائل والصراع ؟ ا ...

لم تلبث « فتنة ، خين شوركت فى رجلها أس بدأت فى الحياة عهداً جديداً لم يكن لها به عهد، عهداً تقاسى فيه ذلك الشمور الثائر الحائر الذى لا يفتر عنها فى صحو ، ولا يُسشفق عليها فى أحلام ...

إن و فتنة ، لتذكر أنها لما آنست نذر هذه العاصفة ، و فطنت الى أن قلب زوجها أخذ يتشر و إلى شيء جديد ، لم تدخر و سعاً في سبيل الاحتفاظ بذلك الزوج ، و أنيه عن عزمه ، فابتفت كل الوسائل من رعاية و تعنن تارة ، ومن توعد و تهدد تارة أخرى ، فا أجدت و سائلها في التا أير . وكيف لها أن تطمع في إذعان وعثمان أفندى ، لإرادتها ، وهي التي ما إن يقع بصرها على شاربه المسنون يتراقص ثائراً على شفتيه ، كما يتراقص شارب الا سد إذا تهيا للو ثب و الانقضاض ، حتى ترى نفسها قد عاجلتها استكانة واستسلام ؟ ا

وأكبر ما آلم د فتنة ، وأوغر صدرها أن زوجها لم يكتف باتخاذ ضرة لها ، وإنما أضاف إلى ذلك أنه أسكن تلك العدوة معها ، يظلمها سقف واحد ، غـــــير متورع عما يلحقها فى ذلك من بالغ الآذى ...

أما الرجل فإنه فى الحق ما تعمد زوجه الاولى بإهانة ، ولارضى لها المذلة ، ولا أحس بأنه يَــا ثمّم فى هذا الصنيع ، وإنما كان عميق الإيمان بأن الجمع بين الزوجتين أمر لا تأباه تسنة الحياة ، ولا تذكره شريعة الله ا

وما له يجشم طاقته فتح بيتين ، ويَـقسم نفسه في مكانين ؟ إن زوجتيه كاتبهما بعضُ أسرته ، ومن خير الاسرة أن تـكون في كـُـنـَـف عائلها مجتمعة ، وبظله محتمية ...

وما لزوجه الآولى تتجحد جميله فيما اتخذ من خُسطة و لا تقر بفضله فيما آثر من عمل ؟ لقد كان فى مُسكنته أن يُـاقى عليما كلمة الطلاق ، وأن يَـَفسح البيت كله لزوجه الجديدة لايشركها فيه شريك ، ولكنه استنكف أن يفعل ذلك، وفاء لماضيها معه ، وعرفانا لحقها عليه ، وأبت نفسه إلا أن يو فر لهــــا الكرامة ، ويقر لها بالصدارة ، فأبقى عليها سيدة بيته الآولى ...

وماكان لشي. ألا يتم و فق إرادة ، عثمان أفندي ، ، فقد

انتلفت أسرته الصغيرة تحت جناحـــة ، وجرت الأمور فى أعنتها كما يهوى ، ورفرف الأمن والسلام على بيت الرجل ، حتى تناقل الناس حديث تلك الاسرة التى تُعدّ طرازاً فريداً للصفاء والرّفاء ...

توخت دفتنة ، فى الديش مسلكاً حميداً لم تر عنه مَحيدا ، ذلك عو إحسان المعاملة لضرتها دبهية ، ، وقد أعانها على ذلك أن دبهية ، كانت فتاة خاملة النفس ، خدو ارة العزم ، أجنح ما تكون للنزاع ، وكانت أعصابها متراخية ، وبنيتها متداعية ، على الرغم عما تكسى به من سمانة وامتسلاء . . .

اطمأنت دبهية ، بما لها من مكانة فى قلب الزوج ، وآنست أنها مطمح عينيه ، ومألف روحه ، فساذا ورا ، ذلك يدفعها إلى التطلع ؟ إنهسا لتنزل طيئه الخاطر عن إدارة البيت ، ورعاية شتونه ، للزوجة الأولى ، فتنة ، ، وفى ذلك إعفا ، لما من مشقة العمل ، وكلفة التدبير ، فتفرع بنفسها لقلب زوجها "تني عليه المتعة والإيناس ...

ولعل « فتنة ، كانت تحاول أن تتناسى ذلك المثل السائر : لا جديد تحت الشمس ا

والتاريخ يعيد نفسه ا

أليس الذى حدث اليوم إنمـا هو تَــكرار لمـا حدث معها بالامس ؟

بدأ ، عثمان أفندى ، حياته زوجاً لامرأة لم يكد شبابها يولى حتى وقع بصره على ، فتنة ، فى صباها النضر ، فهام بها وأضافها زوجا ثانية ، فأذعنت تلك الزوجة الأولى لمما كان ؟ كا تذعن ، فتنة ، الآن ... ولكن تلك الزوجة الأولى عاجلتها المنية ، فانتشاتها من جحبم الغيرة الخراساء ، وخلا ، لفتنة ، وجه الطريق ١٠٠٠

لا تستطيع (فتنة ، أن تنسى تلك المأساة ، وكليا ساءلت نفسها :

أيكون لها مثل ذلك المصير المشئوم؟

أحست و قدة الحمّى ف دمها ؛ من أين لها أن تطيق ترادُف. الآيام تـَسقيها السم الكريه قطرات ١٤ ---

لبثت تفكر ، وما فتئت تفكر ، دون أن تهندى إلى ما يريح فؤادها من ذلك العذاب ... ولكنها ملكت أن تنكبيت شعورها بما أو تيت من صلابة الطبع ، وجرت قافلة البيت في جو ظاهره الهدوء، فأيقن ، عثمان أفندى ، وهو يطوى أيامه بين زوجتيه ،

أنه قد فرغ من مشكلة الضرتين ، وانتصر برجواته على تلك الصغائر التى تثيرها غيرة النساء ا

وكان عزيزاً على دعنيان أفندى ، وهو المؤمن بسطوته ، المعتز بهيمنته ، أن يشق بالنظر النافذ ذلك السطح الناعم الأملس الذي يغشى بيته ؛ ليستجلى تلك التيارات المتدافعة تعلو وتهبيط لا يَـقسر للها قرار ، فحسبه ما يراه حـــوله من شيوع الآمن واستتباب النظام ! ...

لم يُسعنُ الرجل مما كان من ذلك الانقلاب السلمى الذى لحق بزوجه و فتنة ه : ذلك الانقلاب الذى جعل من تلك المسمراح الطروب امرأة رزينة صَمْوتاً صارمة القسمات ...

لقد هُــزل وجهها ؛ فازدادطولا ، و َضَمُــرَ عودها فتقوس ظهرها ، وأصبحت تمشى كحُــنية كأن برجلها قيداً ...

لقد انطوت على نفسها تحتضن حقدها الواغل ، وتتعهده بالرعاية والصون ؛ كأنها تخشى عليه أن يذهب هباء .

لقد آثرت أن تحيا فى توحد وانفراد بجوار نافذة حجرتها المطلة على الطريق ، فهى تلبث الساعة بعد الساعة مد لية بأنظارها فى سبوم ؛ وما كان بصرها فى الحق يقيد شيئاً بما تراه العيون ، فإن عينيها كانتا مصروفتين إلى تصفح مشاهد أخرى من حياة

ضرتها الا ثيرة عنــــد الزوج ، وما تجده تلك الضرة الرخوة المكسال من حُظورَة وقبول ...

وما كانت وفتنة ، تقنع بما تعيه ذاكرتها من حقائق تلك المشاهد فى حياة البيت ، تلك المشاهد التى كانت تتراءى فيها وبهية ، مكر"مة منعمة ... وإنما كانت و فتنة ، تستعين الوهم والخيال ، فتبتدع الا حداث ، وتؤلف الصور ، وكلما أوغلت فى التوهم والتخيل لجت بها الرغبة ، واشتد الظما ً ؛ كا ثما هى النار ، إذا ما زيدت وقوداً ازدادت من تسعر واضطرام ...

لقد كان يَــلـَدُ ، لفتنة ، أن ترقب ، بهية ، ف دقائق حياتها ، وما لها من غَـد وات و ر و حات ، فما كان يغيب عن ملاحظها شي مما تفعل ، ولا سيها حين يَقد م الزوج في مواعيد أوبته إلى البيت ، واستقراره فيه ؛ إذ كانت ، بهية ، تأخذ زينتها ماوسعها أن تا خذ ، ولا تفتا دانية من الباب ، تا هما للاستقبال ، تلقي السدم إلى خفق أقدام السابلة في يقظة و تنبه ... فإذا رفعة خطا الزوج المنتظر ، تلك الخطا الثابئة المصحوبة بقرع العصا ذات المقيض العاجى ، شوهدت ، بهية ، قد تورد محياها ؛ وافتر ثغرها ، وأمسكت بمصراع الباب تفتحه للقادم الحبيب ؛ فما تكاد عين الرجل تقع عليها ؛ حتى يتهال و يتطلق ؛ ولا يُعمَــمّ أن يتلقى عين الرجل تقع عليها ؛ حتى يتهال و يتطلق ؛ ولا يُعمَــمّ أن يتلقى

د بهية ، بين ذراعيه ، وماهى إلا أن تغشاهما موجة من المداعبات والمفاكهات وفضول الاحاديث ا ··

ذلك كله كانت تحرص ، فتنة ، على أن تراه من خَـصـَـاص الباب ، وأنفاسها تتواثب ، وأوصالها تنتفض ، على حين تستمرى تلك النشوة الغربية ، نشوة إمـداد حقـدها الـكمين بأسباب الخــــذا، والنماء ...

وكم من مشاهد على هذا الغيرار ، أبت ، فتنة ، إلا أن تستمتع يمرآها ؛ لتذكّى بها ما بين جنبيهاً من بغضاء ...

وكان الليسل يَفِد على ، فتنة ، أقسى ما يكون همّا وويلا ، ذلك الليسل الذي هو ميلاد الحبين ، ومثابة المتعة والإيناس ... إن ، فتنة ، لتقضيه ساهدة يقظى ، يتلذع فؤادها على مثل الجمر ، لا يرحمها القلق لحظة ، فهى حيرى تارة تذرع حجرتها في اهتياج ، وتارة تخف إلى باب حجرة زوجها تتسمع وتترقب ... وكانت تجيش بين أحنائها رغبة جامحة ملحاح ، هي أن تقتحم الباب ، فتنتزع تلك المرأة الرخوة المكسال من بين أحضان الزوج ، ثم تسقط عليه فتطوقه بذراعها العنيفتين ، وتنحى عليه تقبيلا كأنه نهش الأفاعى ، حتى لا تُنبق فيه على أثارة من أنفاس ا ...

تلك هى دخيلة ما كان يجرى فى بيت دعثمان أفندى ، ، يبت المادى الوادع الذى يحتوى أسرة يحسب الناس أنها تخفق عليها راية الآمان ، وتشيع بينها علائم للودةوالصفاء! ... وحان اليوم الذى حُمل فيه دعثمان أفندى ، إلى البيت ، وقد ضربه الفالج ، فأصبح نصف حى أو نصف ميت ، بل إنه لميت حقاً ، واكن الحياة نسيت فى بعض أوصاله نافاية من نفاياتها ستزول عما قليل ...

وفى تلك الفترة شرعت المأساة الكامنة فى البيت ترفع عن وجهها النقاب ...

لم تكد و فتنة ، ترى ماحل بالزوج ، حتى سيطرت فى لحظة على كل شيء فى الدار ، باذلة ما فى الو سيسم من عزم وحزم ، فلكت الموقف ، وشدت الزمام ...

كان مَثلها فى ذلك مَشْكَل القائد الآلمعى الذى لا يكاد يا نس اقتراب نهاية الطاغية فى أمّنة ، وانفلات الأمر من يديه ، حتى يبادر بإقامة نفسه مقام هذا الطاغية ، يدير الأمر ، ويَقمَع الفوضى، ويضرب على أيدى العصاة ! ...

سرعان ما ألفينا و فتنسة ، تسدل ستارة غليظة بين البيت وما وراءه من العسالم الخارجي ، حتى إن وبهية ، لم تكد تفيق من ذهولها حتى وجدت وفتنة ، قد حملت الزوج إلى حجرتها ؛ فاختصت به ، وتولت رَعيه وتعهده ؛ ووقفت دون بابه تمنع الوصول إليه .

وَشَدَ مَا تَطَلَعْتُ ﴿ بَهِ أَلَى أَنْ تَتَفَقِّدُ الزَّوْجِ ﴾ أو أَنْ تَسَالُ عَنه ، أو أَنْ تَتَعَرف ما طرأ من شائه ، فإذا ﴿ بِفَتَنَهُ ، تَفْجُوهَا بِرد حاسم مقتضب ، وقد انعقدت على جبينها أسارير صارمة ، فلا تجد ﴿ بهية ، مفيضاً إلى كلام ، ولا تلبث أَنْ تَرَاجِع خَذُولَة مقهورة ، لا طاقة لها إلا بعين تدمع ، ولسان يَدلبَّهُ بالعنراعة والغوث ...

فأما الزوج فكان فاقد النطق، فاقد الحراك.. وقد استحال في لحظة من طود شامخ يهتز فيزلزل الأرض تحتقدميه اللي حطام ورم فات ...

هذا الإنسان العتى الجبار الذى كان يمشى فتحف به العبون، إكباراً له، وإعجابا به، لقد صار الآن فى مضجعه كنوكة من لحم وعظم، لا سيمية عليها من مهابة الحياة ا

لم يبق له مَن أسباب الاتصـــال بالعالم الخارجي إلا بصر يبرق، وسمع ميتلقـَّط...

وأى بصر؟ ... إن هو إلا نظرات كابية زائغة ،كلما اجتهد

شُلاثْ عُسَرا كُنْيَامْ

فى أعقاب الحرب العالمية الآولى، ابتدع والنادى الآهلى" ، فى والقاهرة ، بدعة جميلة ، تلك هى أن يقيم فى الفينة بعدالفينة حفلات الماهرة ، كنت أحرص على شهودها ، ما وا تتنى الفرص ، وانفسحت لى الآوقات ...

وكانت هذه الحفـــــلات طريفة فى مجتمعنا المصرى ، ونشاطنا الفنى ، بما تزدهى به من مشاهد فى الغناء والتمثيل ، مختلفة الشكول ...

وقليلا ماكنا نجد في هذه الحفلات ممثلين أو مغنين محترفين . فجنّل من كانوا يقومون بتلك المشاهد، هم من كرام الهواة الذين شغفهم الفن الجيل حبّا ...

وأظهر ماكانت تمتازبه سهرات والنادى الأهلى، فى ذلك الزمن ، طابع الإيناس الذى يتشيع بين النَّظارة . كأنهم أبناء الاسرة الواحدة ، على تفرَّق ما بينهم من المناسب والمنازع ...

سعد تُ بأمسيّة من تلك الاماسي الشادية . وتبوأتُ مقعدى في تلك الردهة التي ليس لها من مظاهر المسرح إلا منصة

ساذَ حَمَّهُ أَفِيمَتَ فَى صَدَرَ المُـكَانَ . وَلَبْتُ أَتَمْبُمُ المُشَاهِ. ، وَفَى يَدِى صَفَحَةُ البَرِنَامَـجَأَقَلِبُ فِهَا النظر بِينَ فَتَرَةً وَفَتْرَةً.

وأوشك أحد المشاهد أن ينتهى ، فأرسلت النظر في البَرْ نابج أستو شحه ما سنجيء . فقرأت :

« ثُـلانی عمر الحیام ،

يقوم به دعلي أفندى المستكاوى وكريمتاه، ا ..

وأحسست أن ابتسامة عابرة تتخايل على فمى -

, على أفندى المستكاوى ، ...

وهل أنساه ؟

إنه ضابطنا في المدرسة الابتدائية في ريتق الصبا ...

ولمست فى خاعرى صـــورة ذلك الصابط الظريف الذى كان يُحيل جو المدرسة المنحفظ المنزمت إبناساً ومِرَاحاً وبهجة . . .

كنا نعلم أنه رجل دابن حظ، وهبه الله جانباً من حسن الصوت، وآتاه ذوقاً سليما في تأليف المقطوعات الغنائية و تلحينها ...

وكان يتماهى إلى أسماعنا أنه سمير الأصدقاء ، يُحيى لهم حفلاتهم بالغناء والآفاكيه . وكثيراً ما شهيدناه قد تخطر فى فيناء المدرسة يرسل ترنيماته فى الآفق ... ولعل أعجب طرائفه أنه كان إذا نادى أسماء المعاقبين من التلاميذ فى مُنصرَف النهار ، وقف ينادى كلا منهم فى نسخمة عاصة باسمه ، كأنه يضع لمختلف الاسماء مختلفاً من الالحان ، فيثير بين التلاميذ روع الطرب فى أحرج الأوقات أوقات الحساب والعقساب ا

لا عجب إذن أن يكون وعلى أفندى المستكاوى ، بطل المشهد المسمى" و تُسلائى" عسمر الحيام ، ... ولا بدأن يكون مشهداً حافلا بالمفاكهة والإطراب .

ما أحبًا إلى نفسى أن أتنسم نفحة من نفحات الماضى يَر ف بها ذلك الضابط الآنيس ا

وأحسست حركة على المنصة ، فأشرعت عينى ، فطالعنى على الفور وعلى أفندى المستكاوى ، يقتعد كرسياً ، وعن يمينه ويساره حسّبيّتان ماثلنان ...

کان یر تدی جبة ساذجة ، وعلی رأسه عمامة کو رها کما اتفق ، وهو یحتضن عوداً یداعب أو تاره ...

ولم يكن فى المشهد من معالم ، عمر الحيام ، إلا تلك الجبة والعامة إن كانتا من معالمه. 1

فأما الصبيتان ، فكانتا في لكبوس أبيض ناصع فضفاض ،

يراد به أن يمثل زياً شرقيا قديما ، وماهو منه فى كثير و لاقليل ... وأول ما راعنى من هاتين الصديتين قوة الشبه بينهما كأنها توأمان ، وذلك الحفر يكسو وجهيهما الوسيمين اللذين يفصحان عن أصالة منبست ...

كانت كاتاهما زهرة لما تتفتح عن كمّتها .تحرص على أن تختزن عطرها لنفسها ، لا تدعه مستباحاً لكلّ من يَـشـــم.

وشرع المود يخفق بأنغامه الرقاق وطفق و المستكاوى أفندى، يساوقه بصوته ، وما هى إلا أن تستجيب له الصبيتــان عنــد كل مقطع ...

وكانت الآغنية تجمع بين لطف المعنى وعذوبة النلحين ، فأما الآصوات فلم تكن تبلغ مستوى الجمال الفنى ، ولا سيما صوت صديق الصابط القديم ... فقد كان على الرغم بما يبذل من جهد مشتلم الصوت ، متقطع الانفاس ...

على أن المشهد، فى جملته، لنى استحسان النظارة، فلم مكد ينتهى حتى تجاوبت أرجاء الردهة بالتصفيق . . .

ولا ريب أن ما لقيه المشهد من الاستحسان مرده إلى تلك الروح اللطيفة الى تسرى فى الأغنية ، وإلى ذلك الصفاء الذى كان ينبعث من تَدِيْتُك الصغير تين ، وهما تشدُّو ً ان ...

وأعقب هذا المشهد فترة راحة ، وبعد لحظات رأيت والمستكاوى أفندى ، وقد نضا عنه لَبُسُوسَ ، عمر الخيسام ، وبدا فى زيه المألوف ، مصطحبا فتاتيه إلى الباب وكانتا قد نزعتا عنهما اللبوس الابيض الفضفاض ، وظهر تا فى رداء مألوف يأخسف بصرك أول نظرة بمظهره الرخيص ، وتفاهته التى تبلغ أفصى حد قرن المرء ليلم جوارب الفتاتين ، وقد توضحت فيها الفتوق والر توق

ولحست عير بعيد مركبة أجرة ، جلس فيها رجل لم يكد يرى الفتاتين حتى تقدم فأخذهما صاعداً بها إلى المركبة ، وهو رجل أشيّب وقور ، تدل مسلامحه وسماته على أنه خادم من أولئك الذين تأنس بهم البيوت ، وتعدهم الآسر من أفرادها المكرمين .

وأحدق به جمع من الخلان، يشيــــدون ببراعته ،ويهنتونه بما أصاب من توفيق ...

ولما خيفت حدة الإحاديث في حلقة والمستكاوي أفندي . ،

وأخذ الجمع يتفرق عنه ، دلفت ُ إليه أقدم نفسى ، فتهلل وجهه ، وأطبق على يدى يحيينى فى ترفق ، ثم انطلق يبعث ذابر الذكريات. فى تنادر ومزاح...

ولم تطمل وقفتي معه . إذ انقضت فثرة الراحة ، وأوشكت المنصة ان تستقبل المشهد الجديد ...

وكان ابتهاجى بما أرى وما أسمع يخالطه سَوْبُ من أسى وضيق، كلما طالعتنى صورة والمستكاوى أفندى ، وهـــو فى المقصف بوجهه المحتقن الذى لعبت به التجاعيد، ويده الراعشة التى لاتكاد تضبط السكائس بين الأنامل، و لبو سه الملفق الصدى" الذى تفشت فيه الأوضار ...

وملت عسلى بعض الرفاق أسائهم فى شائن ذلك الصديق القديم، فا أنبا و فى أنه أعنى من الحسدمة البلوغه السن، وأنه تحت ثقال أسرة مو فورة المطالب، فهسسو لذلك يعانى العسرة، ويحاول أن يستدر الكسب باشتراكه فى بعض المحافل والسوامر، ولكن إدمانه على الشراب وإفراطه فيه يتحيّنفان كسبه، فلا يزال. فى معيشة كشنك.

ولست أدرى ماذا أقرل؟! أأنا الذى انقطعت عن حفلات النادي فلم أشهدها ، أم النادى هو الذى ألغـَـى تنظيم هذه الحفلات؟،

وأكبر ظنى أن ثلاثة أعوام كاملة قد انقضت بعـــد ذلك، دون أن يتناهى إلى سمعى شيء من أنباء «المستكاوى أفندى ، ودون أن ألمح له وجهاً في مكان...

وجاء صيف ، ففررت إلى ، الإسكندرية ، أصطاف ، وكانت المدينة تغمص بالمساهر مختلفة الدرجات ، فقصدت ليلة ، مسهر المنسارة ، وهو من المساهر الشعبية التي تتباين فيها المشاهد من تمثيل وغناء ...

وصادفت المسهر زاخر الجنبات ، فأقحمت نفسى بين المجلاس فى ذلك الجو الحانق العكر ، حيث تخيم على المكان سحائب ثقال من دخان اللفائف ،وصواعد الانفاس، وبخار الحر العشة ... وطفقت المشاهد تتعاقب ، ولم يكسن ثمة من بَرنامج مكتوب ، وإنما كان يقوم مقامه رجل هرم من نفايات المسادح

ر تدى لبسة البهاليل يَرْ عَقَ باسم المشهد الذَّى يُجدَّ على المنصة، و يتخذ , ف تصدًا "بحه لهجة المتظرف المتفكه، ولكنه لا يظفر بغير السُّخر والاستهزاء ، فهو بَرْ نامدَج آدى فاشل ، عز عليه التوفيق . . .

انتابني الضجر ، فأزمعت انصرافا ، ولكن البهلول استوقفي صبحته قائلا :

و ثلاثي عمر الخيام ،...

وسرعان ما وثب فى ذاكرتى ذلك المشهد الذى لا أنساه ... فجعلت أسائل نفسى :

أحقاً ؟ ...

وفيها أنا يتنازعنى العجب والحيرة ، رُفعت الستارة عن منظر شرقى مبتذل ، تتراءى فى أفقه سماء تبيص فيها نجوم شواحب ولحت رجلا قد جلس على الحشايا يكسوه طيلسان ظاهر البيلكى ، وعلى رأسه عمامة ضخمة تكاد تبتلع وجهه ، وعن كشب منه عود ، وما لبث أن نهض يرصند الفلك بمنظار طويل ، شم أوما بعض إيماءات مسرحية كأنه يستدنى إليه شيئاً فى السماء ، وما هى إلا أن هبسط المسرح فتاتان كأنما توحيان ببريق توبيها أنها نجان ببريق توبيها

ومد الرجل يده إلى عوده، وشرع يغنى ، فإذا أما أسمع تلك الاغنية التى سمعتها في ردهة «النادى الاهلى» منذ أعوام ...

وأما الفتاتان فكانتسا على الرغم من ثويهما الرخيصين تتضَّوءان لطفاً وإيناساً. وتبدوان فى زينة هادئة لاتصُّد النظر، وكانتا فى وقفتهما على المسرح يمازج رقتهما خفر وحياء: بسهات حيرى، وإشارات لاتخلو من سذاجة، وسمات صافية بعثت من مراقد ذا كرتى ملايح طيفين شهسد تها بالامس الدابر على

منصة والنادي الأهلي

وتبع المشهد العنائى لحن صامت ، كانت فيه الفتاتان تخفقان با قدامها على أنفامه فى حركات ساذَجة أقرب إلى الرقص الايقاعيّ ...

وكانت الفتاتان خلال هـذا المشهد البهيج تماثلان زهرتين نديت وكانت الفتحت أكامها، فانبعث من حوليهما أريج يسرى فينعش الأنفاس ...

لم يكن فى المشهدكله بما يثير الحفاوة والإقبال إلاشى و احد، ذلك هو وسامة الفتا ين .

كانت فتنة جمالهما لـُبــاب ما فى المشهد من فن يستهوى القلوب ١٠٠٠

وأتَّى للقلوب ألا تستجيب لهذا الضرب من الفن الرفيع ؟... إنه هبة الطبيعة ، تسخو بها على أناس ، كما تسخو بالعبقريات المختلفة الضروب على الأفذاذ الحالدين ...

فتنة الجال ا ...

أَنْسِمُ بِهَا مَن جَوَهِرَ غَالَ نَفْيَسُ ٢٠٠١

حسبها أن تكون ، فإذا الفن في رِكابِها طَيِّع ذَلُول ...

و بعد انقضاء المشهد تركت مقعدى ، لا أحرص على استيفاء برنامج السهرة ، وحثثت خطاى إلى ركن فى الردهة ، عن كثب من الباب الذى يخرج منه الممثلون . وانزويت أترقب ...

وبعـد حين رأيت صديق و المستكاوى أفندى ، يتئد فى مشيته . متا بطا فتاتية ، وعلى محياه مسحة زهو واعتزاز بما تملك يمناه ويسراه من ذخر ثمين ١٠٠٠

وكانت الفتاتان تسايران الرجل ، وهما تتغايدان فى مرح رفيق ، وقد أكتست كلتاهما ثوبا رشيقا فى سذاجته ، يسبغ عليها الوداعة واللطف ...

فأما ، المستكاوى أفندى ، فقد عُـنىَ أَبلِغَ العناية بملبَـسه ، و تأنق فيه أبمــا تأنق ...

وأحدةت أعين النظارة بذلك الموكب الصغير ، وشاعت حوله هو امس التحية ، وتعالت هو اتف الإعجاب ، ولم تملك بعض الأكف أن تسترسل فى تصفيق ...

وكنت ألميح بين أولتك النظارة عيوناً يتمثل فيها الشّرة ، وتعتابح شهوات الافتراس ، وصافحت أذنى بين تلك الهوامس والهواتف نثاراً من ألفاظ نابية ليس فيها تحفظ ولا احتشام ، تتبعها من كات و المستكاوى أفندى ، يستقبل ذلك بوجه مر بد عبّسوس ، ونظرات ينبعث منها الاستذكار ...

وجد د المستكاوى أفندى ، فى مسيره إلى باب الحروج ، فإذا. كمر كبة أجرة يجلس فيها ذلك الأشيك الوقور الذى رأيتُه فى مثل هذا الموقف على باب ، النادى الأهلى ، قبل سنين ...

ولم يكد و المستكاوى أفندى ، يسلم إلى الرجل وديعتيه الغـــالينين ، حتى قفل إلى المقصف يتخطر فى حُـلته القشيبة ، ورباط رقبته المتلهب يباريه فى التخطر والازدها. ، وما أسرع أن أنحى على الشراب يعبه عبا ...

ووجدتني أجلس غير قريب من مَرْميَ عينيه ، ولا أدرى ماذا عدَ انى عن التقدم إلبه أحييه ، فلقد ملكتني خواطرى،

وجعلت أتصفح فى مخيلتى مر الفتاتين بين الجموع يمحاصرهما من شَرَه الاحداق نطاق ، وتتساقط عليهما ألفاظ بذاءة و َهذَر ، فلا تضيق الفتاتان بشىء من ذلك كله ، كا نما يقع من نفسيهما موقع رضا واستحسان .

وأحاطت شرذ مة من أخسلاط النظارة بصديق صريح الشراب ، بهنثونه بتوفيقه ، ويساجلونه الحديث ، فإذا بالرجل يشرئب ويتنفخ ، وتأخذه عزة الفن ، فينبرى مفيضاً فى شرح دقاتق المشهد الذى يضطلع ببطولته ، متمعناً فى تفسير خوافيه فى التا ليف والتلحين والآداء ، منشيداً بمجموده فى تنظيم تلك الحركات الإيقاعية الراقصة ...

وكان يُستبعُ حسدينه بإنشاد فقرات ومقاطع ، ثم لايلبت أن ينهض متراقصا لتصوير حركة أو إيماءة بما ابتدعه فى مشهده الفريد ، فيستجيب له الجمع متظاهرين بالإعجاب والتصديق ...

واستقبلت الحلقة ثلة من الشبان الموسرين الذين هم أحلاس اللمو ، بمن تقوم عليهم صروح المساهر ، بما ينفقون فيها من أموال سخية فى بَذخ و تفاخر ... فأخذوا يشتركون فى السماع ، ويغدقون الإطراء .

ولبث الجمع كذلك وقتاً ، ثم انفرط عقدهم رُوَيداً ، حتى لم يبق على ما ئدة الشراب إلا صدبق الضابط القديم ...

وكان برنايج التمثيل قد انقضى، وَولِيهُ برنابج المحاضرة، في حلية الرقص ...

وخلا المدكمان الذي يحجُب الرجل عنى، فوقع بصره على ، وبدا من نظرته أنه لم يَحُمَّقُنى، ثم تلاقت عينانا مرة ثانية. فألفيتنى ناهضاً إليه ، محيِّياً إياه، مقدماً نفسى ، فحيانى تحية مهذبة، غير متحمس فى النرحيب ... وكانت عينه تتوهج من أثر الشراب، وبفتة قال لى :

يقيني أنك هنا منذ ابتدأت السهرة ...

- نعم، وإنى أكبر مجهودك العظيم فى مشهدك الرائع ... فأخذ يُحد بصره فى وجهى ،كأنما يريد أن يستجملي سريرتي لية بين مباغ قولى من الجد ...

ثم قال:

لا بد أنك فطنت إلى ذلك المدخل الذى مهدت القطعة الغنائية ... أقصد رَصد الأفلاك.

ــ حقا كان مدخلا شاتقا ...

فلها و ثق بی ، واطمأن إلى قولى ، انبرى يشرح لى تفاصيل

المشهد وأسراره، معيداً ما ألقاه على شرذمة النظارة التي أحاطت به منذ قليل ...

ورأيت من الكياسة أن أؤيده فى قوله ، وأن أستجيب له عاليزيد طمأنينته ، ولكنى كنت أحسّ ـــ وأنا ألفق حديثى ــــ أن لكلماتى طعها مرآ على لسانى ...

وبينها كانت هذه الكلمات يغدّص بها سممى ، كنت ألمح طيف الفتاتين يتخايل تسجاه عينى ، وهما تبعثان بابتسامة يختلط فيهما التهكم بالإشفاق !

وأخيراً نهضت مودعا صديقى ، فما إن فصَـَلت عنه ، حتى أحسست كأننى انطلقت من أسر ، ودفعت خطى إلى الطريق أنتشق الهواء ا

وتواصلت أيام وأيام، وكلما لجسّت بىالرغسبة فى ارتباد مسهر المتارة، صَدَدْت النفس عن هواها ، ولكنى فى النهاية لم

أطق لرغبتى دفعا ... فيممت المسهر أشهد و ثلاثى عمر الحيام . . ظل المشهد فى به هره على حاله ، كما كان ، ولكن الجديد فى الامر هو ما أحاط بالمشهد من مظاهر ...

فقد ازدادت الفتاتان أاكتا وازدها، وازداد الجمهور بهما إعجابا وإغلاء ... فما تكاد إحسداهما تبدى أقل حركة ، أو تنثنى أهون انثناءة ، أو تبسط ذراعها أيسر بسط ، حتى يتعالى هتاف الإعجاب ، وتتوالى تحيات المعابثة ، فكانت الغادتان تستجيبان لذلك استجابة مجترى مراح ، وتردان النحايا فى رضا واغتباط ...

و في مُنصر فهما وهما تشقان الطريق بين النظارة ، يتوسطهما صديق في حلته الأنيقة ، ورباط رقبته الهفهاف لل المحظت ما كانتا ترتديانه من ملبس منتقى يُلفصح عن مفاتنهما اليانعة .

وما أسرع أن رأيت زمرة الشبان الموسرين اللاهين تطبيق على • ثلاثئ عمر الحيام ، فتحجبه عن الانظار ···

وماكاد الموكب الصغير يتدانى من باب الحروج، حتى صاح فتى من أولتك الزُّمرَة قائلا د للمستكاوى أفندى ، :

لقد وعدتينا أن تجيب أنت والآنستان دعوتنا إياكم إلى

فبدا على وجمه والمستكاوى أفندى ، قلق وتردّد ، ولكن الزّمرة ما عتمت أن زَحمت والثلاثى المحبوب، فدفعت به صوّب المطعم ، وكلتا الفتاتين تحاول أن تستر طربها في منديلها المعطر ...

و تبعت ُ الركبَ إلى مطعم المسهر ، فاتخذت ُ مجلسي على مائدة أرقب من مكانها ما يقع ، دون أن تأخذني العيون ...

وحملَ الطعام إلى مائدة الحفل شهيًّا متعدِّد الآلوان ، معزِّزاً بفاخر الشراب .

وشرع « المستكاوى أفندى ، يتناول الكأس فى تمهل القانع ، ثم إذا هو يسترسل ، فيعب من الشراب بلا حساب ا

ونهض أحد أو لنك الزُّمرَة ، وكأسه في بمناه قائلا :

فلنشرب على نجاح . ثلاثى عمر الحيام. . . طُـر فة الفن ، وآية الطرب 1

وكان رهو يصبح بتلك الدعوة، يحدد نظره إلى الغادتين، فا بتسمتا له، وضبح المجلس بالتصايح والتصفيق...

وضاق بالجمع صدرى ، فلم أطق بقاء حتى أشهد آخر. فصول هذه المهزلة الشنداء...

وفيها أنا متأهب للخروج النقت عيناى بعينىصديق المتسكاوى

أفندى ، ، فأزاغ بصره عنى فى استنكاف ، وأيقنتُ أنه عرفنى ، فضيتُ مسرع الخطو ، وأقسمت وأنا أغادر عتبة الباب على أنى لا أعود إلى , مسهر المنارة ، أبدا ...

وبعد أيام دعانى صديق كريم إلى عشاء، وطال عنده سهرى ، حتى آذن الليل بانتصاف، فلما تركت بيت الصديق آثرت أن أترجل في طريقي استمتاعا بسكينة الجو وصفاء الهواء .

ولا أدرى كيف ألفيتني أمر وبمسهر المنارة، ؟...

أقصداً كان ذلك مني ؟ أم مي خطأ تائهة ساقها القدر ؟...

و تلاحق على سمعى هدير الضجة وأمغام ، الجاز ، المعربدة المنمرده :كا ثما هى ربح عاصفة تلفى فى تدويمها ... فإذا بى تشقل خطاى، ووجدتنى أخلى سمعى لهـــنه الاصوات ؛كأنى أنتخلها لالتمس فيها صوتاً يعنينى ، وما لبثت أن سمعت صائحاً يقول فى اهتياج :

فلمشرب على نجاح د ثلاثى عمر الخيام ، ١٠٠١

و تقارعت الكئوس، وتجاوبت الصيحات، تتوضح بينها ضحكات نِسْدوية رقاق ا ...

وأمددتُ قَـدَ مَى بعزم ينجيني من الله العاصفة النكرا. و وأخذت عيني مركبة الأجرة. ماثلة بباب المسرح، وعلى سلمها ذلك الاشيب الهرم قد تجمع ، ورأســـه يهوم ، وسماته بنطق بالملالة والسأم .

وقطعت في السير شوطاً ، وبغتة ثارت بي الرغبة في العود، وما هي إلا أن كنت عن كتب من باب ومسهر المنارة ، ...

وظهرت ثنَّلة الشبان يُحدقون وبالثلاثيّ المحبوب، في صخب وطرب، وتقدم والمستكاوي أفندي، من مركبة الآجرة، فأسلم فتاتيه إلى الآشيب الهرم، فانطلقت المركبة لغايتها، وتقوض الجع، وهم والمستكاوي أفندي، أن ياج الباب، قاصداً إلى الحان، ولكنه في هذه اللحظة لمحنى، فوقف يحدجني ببصره، فأنكرت أنى أراه، وخطوت خُـطاً سِراعاً في الطريق، ولكنه صاح بي يناديني في صوت متحشرج، ولحق بي يحث قدميه ما وسعه أن يحث فاضطر وثت أن أرجع إليه، محييا إياه فلم يرد تحيني، بل وقف يبعث إلى نظرات صارمة، ثم صرخ:

لماذا تتجسسعلي ؟ ...

- 19 bi _
- ــ نعم ، أنت ... لا تُسنكر * ... إنك تحاول أن تتعرف دخائل شئونى ... ماذا تحيب من سلوكى ؟ ...
 - لاأعيب منك شيشًا ... لا شيء ا...

ـ كذاب . كذاب وحق السهاء! ...

وأخذ بيدى يهزنى جيَّاش الاعصاب، وٰهو يقول:

لك أن تتقول على ما شئت ... لا يعنينى منك قليـــل ولا تثير ... لك أن تشيع عنى أنى مهرج سكير... ولكن أأنفق من مال أحد؟ ... إن المهرج الذى لا يروقك يكسِب قوته بعرق جبينه ، من أشرف طريق ا ...

سراه ... ماذا أستطيع أن أقول فيك؟ وأى شيء أشعتُه عنك؟ راه ... ماذا أستطيع أن أقول فيك؟ وأى شيء أشعتُه عنك؟ سراه ... أتظنى بليد الفهم؟ سراي على ميسنة بما يجول في خاطرك ... أتظنى بليد الفهم؟ إنى أتصيد الآفكار وهي طائرة ... الفن الرخيص الذي نزعم أنى العرضه هو فن رفيع ليس في طوق أمثالك أن يحسن تذوقه ... إنى أضرب بما يقوله الماس عُرض الحائط ... الفنان يعرف قدر نفسه ، ولا يبيح سمعته لاحد ... لك أن ترى رأيك ف كا شت ، ولكن إياك أن تتجاوز هذا الحد ... فحذ ال أن تستطيل بنذا الح أن المساس بكرامة ابنتي هاتين ... فأما إن حدثتك نفسك بهذا الإثم ، فإنى باطش بك ؛

ورَفع يده يُلُوح بقبضتها في الهواء ولكنه ما لبث أن المختل توازنه ، وأوشك أن يتداعى ، فأسرعت إليه أقيله من

عثرته ، وهو ما برح يهدر محاولا أن ينحشي نفسه عني ،كا نه يا في أن أكون له عوناً ...

وأقبل بعض عمال المسهر يا خذون به ، ولم يستطع أن يتمالك، فتعاوناً جميعاً على حمله إلى مركبة أجرة ، فما إن استقر فيها حتى. أشار إلى العبال أن يَد ُعوه وشا نه ، لا يرافقه منهم أحد ...

وجر جرت المركبة خطاها . ينازع صوت حركها صياح مالمستكاوى أفندى ، وهو يمجد شرف ابنتيه ، ويعلو بهما عن أوضار القميل والقال ...

وقصدَتُ بيتى تغتالنى مَـضَـاضَـة ، ولا تبرح رأسى أخيلة ما وقع الليلة على باب «مـشـهر المنارة

وكانت هذه الليلة آخر عهدى به ، فما طرقته بعد . ، بلا دنوت من مكانه ، ولـكن أخبار ، ثلاثى عمر الخيام ، كانت تلاحقنى كر هما . فلم تكن تخلو صحيفة من إعلان عن ذلك المشهد ، أوحديث في شأنه ، أو إنبادة بتوفيقه ...

لقد انتقل «الثلاثى المحبوب ، من «مسهر المنارة» المتواضع إلى مساهر أخر اعر مقامنا ،حتى تسنسم مكانة مرموقة في «مسهر النزهة». أرقى ملاهى المتسيف …

وحاصر تُدني صور الفتاتين في الصحف . مختلفات الأوضاع بـ

يتضوع من مفاتنهما أريج السحر ، وتنوقد فى عيونهما نزعة الغكواية والإغراء وكلما لمحت هذه الصور طالعنى على الفور طيفوجهين على منصة « النادى الأهلى ، ينقلان نظر اتهما البريئة على استحياء ! وتعاقبت الآيام أكثر من عام ..

وُ دعيت إلى حفل فى د فَمُندق شبرد ، تقيمه هيئة اجتماعية لها خطر ... وضم الحفل صفوة الكبرا. ، ونُسُخبة السراة ، بمن تلتمع شخصيائهم ثى مختلف النواحى والبيئات .

و بعد أن ألقيت خُسطب تناسب المقسمام دُعينا إلى العشاء . فأبصرنا الموائد صلقة في بهدر تها معرض لمشماهد مسلية من الرقس والغناء ، ووزع علينا البرنامج ، فقرأت في سطره الاخير: « ثلاثي عمر الخيام ،

اننظرت على أحر من الجرأن أرى صديق وفتاتيه بعد غيبة طال مداها ...

ولما حان ظهور و الثلاثى المحبوب ، أظلم المكان ثم انصبت الاضواء بغتة على 'بهرَ ة الحلقة ، مختلفا ألوانها ... وبدا والثلاثى ، في المعرض يتخطر ، فانبعثت من الاكف عاصفة من التصفيق ... ولاأ خفى أن هذا المشهد قد بهرعيني حقابتلك الازياء الفاخرة، والحلى الالآقة ، وذلك الترف الواضح في كل ما تقع عليه العين ...

ولكن كل هذه المباهج كانت تتضاءل وتتصاغر إزاء تلك البسهات الني يفتر" عنها ثغر الفادتين، متوهجة بفتنـــة الآنوثة، تنسكب صهباؤها متقدة حرسى، لوشرب قطرة منها وعمرالخيام، في صوفيّة الآو حت إليه أفدينظم قلائد يُزرى برباعيّاته. وتجرس عليها ذيل العفاء 1...

وراعنى أن المشهد قد خلص من عنصر الغناء ، وطغت الموسيق والرقص الإيقاعيّ على المشهد كله ، فلم تدع اسواهما. مقاما فيه . . .

ولكن أى موسيقى وأى "رقص إيقاعى أسمح وأرى؟ حَسْب الفتاتين أن تَمَنِيد" عنهما انثناءة عيطف، أو التواءة خصر، أواهتزازة قد"، أواختلاجة نهد، أو انبساطة ساق، فىذلك الموج من الإضواء الملونة، حتى تسرى نفثات السحر فتملأ شيعاب. القلب من نشوة وإمتاع...

وحدّث ما شئت عما لتى المشهد من تَرحاب وإعجاب ، ومله وُدّع به من مُستاف وتصفيق . . .

و بعد حين رأيت صديق و المستكاوى أفندى ، فى حلة السهرقة السوداء ، متألقاً يقصد منضدة تحفل بزمرة من علية القوم ، ومالبثوا أن تقارعت أيديهم بمترّعات الكثووس...

وأما الغادتان فقد ازدانت بهما منضدة الصدارة ، حيث يجلس الداعى وكبراء المدعوين . . . وكانت الغادتان فى أتم زينة وأبهى حُـلل وحلى ، تتوالى عليهما ألوان الحفاوة من كل جانب وماأسرع أن تجمعت حول هذه المنضدة فرقة المصورين كسرب من النحل يتفنن فى اقتطاف ما يطيب له من نصرة هاتسين الزهر تين العطر "ين . . . وانطلقت قذائف الأنوار من يد هؤلاء المصورين تقصيد مختلف الأوضاع ، على حين تنبعث من جمع الحاضرين لطاتف النكات والضحكات ا

وصَدَّدَ تُ عن الحفلأسير راجلا في الطريق ... عارضاً في عنيستي تلك المشاهد التي مرّت في الليلة .

وأطلقت الدينان لفكرى يحلق فى هذا المجتمع الصاخب . موازنا بين ما فيه من زيف وجوهر ، وباطل وحق ، متسائلا :

أى" العوامل هي التي تتبح النجاح وتُـوُّ تي الفوز في هذه الحساة؟

ر وعلى أى أساس يُـصـّـدر المجتمع أحكامه على سلوك الناس ومصايرهم وتقلبهم في مراتب الآخلاق ؟

وَرْحْمَتَىٰ الْافْكَارِ.واختلفت في السبل، واختلطت على القسيم، فلم أعد استطيع تمييزا ولا وزنا ولا تفرقة بين صلاح وفساد،

أو زيغ وسداد ا

وفيها أنا تستغرقني هذه الحيرة ، إذا بسيارة فخمة رائعة تتهادى جوارى ، فتطلعت إليها، فرأيت فيها أغذاذاً من ذوى المقامات الكريمة ، يتوسطهم في عزة وخُيبَلاء ، وفي ترف وازدهاء ، ذلك الئلاثي العظيم . . . و ثلاثي عمر الخيام ، !

ابنَة إيردين،

دخل المتمال ركاهة منزله، فى لمسة من رفاقه، متجها بهم إلى مكان تمثاله الجسديد، ابنة الرابة إيزيس، ذلك الذى أتم نحته منذ قليل...

وكان صديقه كبير الكهنة قد علم بهذا التمثال الفاخر فأعد له فى الهيكل الاعظم أكرم مقام .

أما هذا المثمال فهر فى زهرة العمر ، وقد حلتى كئيراً من الهياكل بالبارع من تماثيله ، وعلى الرغم مما ذاع من شهرته ، وما بلخ من مكانته ، فإنه يلمح الدروة التى يتطلع إليها بين عباقرة الفن بعدة المنال . . .

وإنه الآن إذ يزهو بتمثاله الجديد ، ليشعر بأن ذلك التمثال جدير أن يتسنم به تلك الدروة، فتكون له الصدارة بين الخالدين من بُناة النمائيل .

والرجل يقضى حياته فى صحبة زوجة وفية أخلصت لبيتها الإخلاص كله ، ووفرت لزوجها وسائل الطها نينة والإسعاد . وإن له منها طفلة توشك أن تستكمل عامها الخامس، ولكن هذه

الزوجة على ما تبذُّل من جهد لا تسلم من لوم الرجل وتعنيفه ، فهو داءب على الانتقاص من قدرها ، حريص على الزراية بها ، وأخذ علبها دائماً أنها في غفلة عما هو فيه من حياة فنية ، ويرى أنها لا تتذوق من الفن ما يتذوق ، ولا تشاركه فى تلك الستبحات الرفيعة فى آفاق الروح ، فليس بينهما فى هذا الجال من تجاوُب أو نجوكى .

ولقد يذهب الرجل فى تجنيه على الزوجة كل مذهب، فيرميها بأنها تعكر عليه صفو خلوته إلى عمله، وأنها كثيراً ما تخدش السكينة التى يأنس إلى ظلها فى ساعات الإلهام، ولها من طملتها المدللة الشيغوب عون أى عون على إثارة القلق والإضطراب...

وطالمًا صاح الرجل بزوجه في نوبات غضبه : قائلا :

ما دمت لى زوجا، فلا أمل لى فى أكون فناناً عبةريا، فإنك لتفرُشين طريق بأشتأت العوائق والعقبات ...

إلا أن الرجل اعتقد منذ فرغ من نحت ذلك التمثال الجديد « ابنة الر"بة إيزيس ، أنه قد صنع معجزة الفن التي تيسر له منزلة الخيلود ... فلا غَرَّوَ أن يزهو وأن يدغو رفاقه إلى المنزل يشهدون فنه في أوْ حِه الرفيع ا

وأقبل الرجل في أصحابه على التمثال ، وكان في صدر البهو ،

مسبَّلة عليه غلالة . وطفق المثال يتحدث فى شأن تمثاله ، كا تما يهي . أذهان الرفاق لاستقباله ، وييسر لهم تذوّق مافيه من رواتع الفن وبدائع الجمال . . .

وما إن اطمأن إلى أنه أو فى من ذلك على الغاية ، حتى أخذ يميط الغلالة عن التمثال ، فانتظمت الجع هزة إكبار وإعجاب ، وجعلوا يهمهمورن بألفاظ التمدح والإطراء .. فاشتعل المثال حية ، وانتفضت منه المشاعر ، فندفق فى التحدث عن تمثاله، مشيراً إلى أوصاله وشياته ، مفيضا فى التعجيب بما تتميز به من روعة وافتنسان . .

وفيها هومسنغرق فى الحديث لايجف له ريق. إذ تراءت طفلة انفرجت عنها إحدى الستائر، وقد تسللت فى خطا حَـذِرة، وهى تنقل النظر فى البهو ومن فيه ...

لقد ترامى إلى سمعها صوت أبيها يشقشق بالحديث عن التمثال، فقدمت تستطلع الآمر ... وقد وقع في وهمها أن أباها يقص قصة طريفة ، فأرادت أن تستمع إليها فى غفلة من عين أمها، فلقد حذرتها أمها أن تخرج إلى أبيها فى تلك الساعة التى تشغله عن كل شىء ...

ورأت الفتاة حول أبيها ذلك الجمع المائل وقد أنصت له كل الإنصات، فأذكى ذلك من فضولها، فواصلت سيرها وتيدة الخطا، وعيناها السوداوان النجلاوان تلتمعان بيشراً وارتياحاً، ويداها معقودتان خلف ظهرها دلالا واختيالاً...

وكان أن انحرف بصر واحد من الرفاق . فلمح الطفلة آتية ، فاستغرب الامر بادىء بدء . وعجب لتك الطفلة : كيف يُــؤُدن لها أن تقتحم ذلك المحراب الفنيّ الذى لا تعرف له كنها ؟

وخسِينى أن يكون من الطفلة ما يثير استياء أبيها فى تلك الساعة ، وهو يعهد منه سرعة الغضب في مثل هذا الموقف ، فسل نفسه من بين الجمع ، وعجسل إلى الطفلة ، فإذا به أمام وجه أميل إلى السمرة ، جذاب الملامح ، ذى عينين دعجاوين ، وشعر فاحم مو الج فانحنى يمسك بيدها ، ويحاول أن ينحو بها نحو باب الخروح ، وهو يسر إلها قوله :

يحسُن بك أن تعودى إلى أمك ... إنها تدعوك ا

فلبثت تحدق فيه جاتين العينين اللتين تأتلقان ذكاء وحيوية ، وقالت فى الـكلام ، كأنها تزن ألفاظها وزناً :

أمى ليست فى حاجة إلى ا

واهتز الرجل لتلك اللهجة المتزنة ، وذلك النغم الآغن - فلم يملك أن ابتسم ، فاستجابت له الطفــــلة بابتسامة حلوة كشفت عن أسنان لؤلؤية منطقة ، وأخذ الرجل يلاطف يدها قائـــــلا :

إن أمك لا شك في حاجة إليك ، وهي الآن تبحث عنك ولا تجدك، فهلشي إلها . . .

فقالت له الطفلة وهي على حالها تحدق فيه :

أى فىالمرطشهتى تُعد الطعام ا

وألنى الرجل نفسه رانياً إليها ، يتملى فتنة محيًّاها ، ثم همهم خافض الصوت :

ولكن يا صغيرتى عليك أن تعودى ...

وخطا آخذاً بيدها إلى الباب ، فازور ت به عن الطريق ، واستدارت تقول:

لاذا لاتريدني أن أصغى إلى تلك القصة اللطيفة التي يحكيها أبي؟
فاستفاضت على وجه الرجل ابتسامة رقراقة ، وشاعت بين
جوانحه بهجة جياشية ، وقال وهو يعانى أن يخافيت بصوته ؛
حقاً إنها قصة لطيفة ، ولكن ألا تركين هذا الجمع الزاحم ؟
إنه يعوقك أن تسمعى شيئاً !

فتشبئت بيده، وقالت وهى تحاكيه فى همهمته والمخافنه بصوته: إذن احكها لى أنت !

و إذا الرجل. يحمد نفسه قد حمل الطفلة بين ذراعيه ، وهو يتوسمها حيناً ، فنقبل هي على خده تلقى عليه قبلة من ذلك النوع الغُنفُسُل ... قبلة كا نها الزهرة في كمها لم تنصَم بعمد عطر ها الفو الح... ثم قالت في إلحاف:

احكما لي ... احكما لي ...

فمضى الرجل بالطفلة خفيف الخطو، وانتبذ بهـ ناحية، وجلس على متكلم، وأراح الطفلة على ركبته، وطفق يحكى لها من صيّد خياله، وهنى شديدة الإصغاء، يلوح على محيداها كبير اهتمام ...

وظلت تتابع حديث الرجل، معبرة بملامحها وإشاراتها عماتسمع من مشاهد الاقصوصة الساذَّجة ...

وطالمًا قطعت حديث الرجل تحاوره فى منطق هين لين ، ولا تلبث أن تدعوه إلى استثناف الحديث ...

وكان الآب المشَّال ماضياً في عُنجب وازدها. يشرح لرغاقه روعة الفنَّ مصوَّرة في تمثاله الفنَّ ...

وشاعت في الردعة سارية من الجهامة والتزمَّت. حتى لتحسّب

أن ثمة َ سحباً جعلت تتعقد فى أفق الحجرة ، فتلقى على المكان غشارة من قتـّام ...

وما كان ذلك الفنان فى لهجته المتحفظة، ومنطقه المعقد، المطوى على الاحاجى ، إلا كثل كاهن متخشع يثقله التزمت، وقد استرسل فى مواعظه الجافية المملولة. والرفاق من حوله، تبدو على وجوههم علائم المصنص والكلال، ملقين أسماعهم إليه على اضطراد، وإن لم يفهموا الكثير عما يبلغ الاسماع...

فأما النحفة الماثلة ، ابنة الرّبة إيزيس ، تلك القطعة الفنية التى تمثل الطفولة الزكية ، فقد تراءت حيال الجمع كدراء مغضّنة الوجه كابية ، وكا ثما قد تكا ثفت عليها أنفاس ذلك الفنان العبوس ، فغاضت نصرتها الفتيّة ، وذهبت بشاشتها الصافية ، واستحالت عوزاً أو قرتها السنون ا ...

وبدت من أحد الرفاق الهتة غير واعية ،كأنه استشعر الحاجة إلى أن يريح بصره بما يرى تجاهه ، فوقعت عينه على رفيقه قد خلا بتلك الصغيرة فى ناحية من الردهة يتناجيان ... فرأى قدميه تخفان به إلى ذلك الركن القصى ، وما هى إلا أن اشترك مع الصغيرة فى ملاطفة وحوار ... وما أسرع أن انتحشت روحه بسحر تلك الفتنة الوادعة ، فتنة الطفولة فى أبهى حلاها وأروع خصائصها.

وما لبث هذا الثالوث الصغير أن اجتذب إليه من الرفاق واحداً بعد واحد ، وكانت الطفلة واسطة العقد فى هذا الجمع ، تُشع فيه الانس والبشروالم راح ...

وما زال الرفاق حول الصغيرة يتنافسون في اجتلاب بسهاتها وانتهاب قبلاتها ، حتى احتوى هذا المجلس سائر الرفاق ، فلم يبق هنالك حول التمثال إلا ذلك الفنان العبوس في غمرة من أحاديثه الغامضة ، وأحاجيه الملتبسة ، يتناول بها أسرار الفن والجمال ، لم يشعر بانفراط الرفاق من حوله ، وانفضاضهم عنه ؛ فقمد كان ضباب المتمة والوحشة يغشي عينيه . ويُسطبق علمه ، على حين كان الركن القصى" ، ركن الطفلة و من اجتمع حولها من الرفاق ، قد أضاء بنور علوى وضاح السنا ؛ وكأن ، إيزيس ، نفسها هي التي أشعت ذلك النور على تلك الطفلة ، فأحس الرفاق كأنما هم أمام ابنة الر"بة الحقة قد تجسدت في ذلك الكائن الإنسى اللطيف، وكأنما هذه الطفلة قد خرجت بهم من عالم الوحشة والظلمة إلى عالم من الطلاقة والنضارة والإشراق ...

ها هم أولاء يحسون لها نشوة الحب الصادق ، بل ما هو فوق الحب ... إنهم يحسون لها روح التعد في هيكل معتم موحش تتلاطم فيه أشباح البخور المفزعة ، وتنوح التراتيل المكروبة ...

إنه تعبيد بروح الطبيعة الطروب؛ فهم بين يدى ، ابنة إيزيس، الحقة تتوقد حيوية ، فتبعث فى نفوسهم دف، الحياة ، وتهبهم قيساً من شعلتها المقدسة ...

ليسوا هم الآن حيال تمثال قدُدَّمن ضحر، مهها يتفنن صانعه في نحته ، فإنه يحاول عبثا أن يبث فيه وَ مضة من نور ساطع ينبعث. من ذلك التمثال الحي ...

لاريب عندهم الآن أنهم يتعبدون على خير وجه ، وأهدى طريق . فهم ير ون أنفسهم قد ظفروا بجوهر التعبد، ذلك التجاوب الروحى ، والتمازج الصميم ، بين العابد والمعبود ... ذلك الحب الساذج يخفق به القلب مستشعراً متاع الحياة الصريح ، غير مشوب بخشية أو ترهيب ... ذلك التطلع إلى وجه الإله ، دون فروض أو قيود أو رسوم ... ذلك الارتواء من نبع علوى عذب الفيض يسير المنال ا ...

كانت دابنة إيزيس ، الطروب الممراح بين أيديهم يتوسمونها ويطارحونها ألوان المطايبات والأفاكيه ، فيرون فيها أروع مثال الفن العبقرى ، الفن الذى تحس الفطرة جماله ، وتنذوق متعته ، دون تعريف أو إيضاح ... الفن الذى لم ينحته إزميل ، ولم يعمل في تسويته مِر قم ، ولم تتكلف التأنق فيه أنامل صانع من البشر ...

إنه نعمة الطبيعة الحسنى ومنحتها الطبُّبة ، سخت بها عفو الحاطر، لاتصنتُع ولا معاناة ! . . .

وظّل الآب الفنان بجانب تمثاله الضخرى وحسده، وهو مسترسل فى شقشقته، فلما فطن إلى أنه خال بنفسه ؛ يتحدث إليها، تلفت حائراً يتفقد الرفاق، فلمحهم فى أقصى الردعة ملتفين حول ابنته الصغيرة يتناوبون حملها بين أكنفهم ويجاذبونها أطراف الحديث...

فهبت بين جو انحه عاصفة من الغضب ، وهم آن يخطو إلى الجمع يعلن إليهم استنكاره ، ولكن عينه التقت بتمثاله ، ففطن أول مرة إلى أن به شيئاً غير مألوف ، فأخذ يحد النظر فيه . ثم عدل ببصره إلى طفلته فرأى عينيها الدعجاوين تُنفيضان السّنا ، وابتسامتها الرّفافة تـُشيع البجة والإيناس . .

واستأنف الـظر إلى تمثاله . . .

أثمة جهامة تغشى عيني التمثال ؟

أثمة جفرة تنمثل في الشفتين ؟

وهل تكون « ابنة إيريس ، جهمة جافية ؟

كيف سولت له نفسه أن ينحِيت التمثال عبوساً جافى القسات ؟ . . .

وجعل ينقل بصره بين الطفلة الجياشة الممراح وبين الطفلة الجياشة المعراح وبين الطفلة اللهائدة العبوس ، ولبث كذلك وقتاً ، حتى أحس الغضب يتلهب بين جوانحه ، الذضب على نفسه وعلى تمثاله جميعاً

لفد جاد فه فى هذا التمثال، حتى أصبح فى عينه تحفته الحالدة، وإنه الساعة ليتبين تفاهة هذا الآثر الذى بلغ به أو ج الفن ا ... فكيف إذن تكون نظرته إلى سائر تما ثيله التى تفاو ت تقدير ما لها من قبل ؟

وأخذت الغيشاوة تنقشع عن عينية ، وإذا هو قد انتفض انتفاضة تزايلت بها كرياؤه واعتزازه ، وشعر بوطأة الخيبة وثقل الهزيمة ، فتهاوى على مقعد فريب منه ، وقد انتكس رأسه ، وانطبق جفناه ، وتدلت يداه ، . . وانساب به الفكر فى خللات يأس وقنوط ا . . .

وأنهته أنامل رقاق تداعب كتفه ، فرفع رأسه ينظر ، فألنى طفلته بجانبه تبتسم له على تخو"ف وحذر ... فهم أن ينحيها عنه ، ولكنها عاجلته تتعلق برقبته ، وتقـــول له فى رجاء ، وهى قشير إلى التمثال :

أبي... أبي... قص على قصة هذه الدمية ... إما بهية الطلعة 1

فألنى نفسه يقول لها من فوره:

أتروقك ؟

_ غاية في الجال ا

فنهض الرجل بطفاتة ، وأدناها من تمثال ، ابنة إيزيس ، فسلم تلبث أن أقبلت على التمثال تقبل محياه في بهجة وفرح ، فأحس الآب طارئاً من النشوة يسرى في أوصاله ، وإذا هو يضم طفلته إلى صدره مهتاج النفس ، وإذا هو يطبع على جبينها فيسلة جيّاشة ا

عندما تضحك الافتدار

جلس إليه صديقه فى مشرّب من المشارب المعروفة ، يناقله الحديث فى شئون الزواج ، وقـــد رفرفت حولها أنسام الأصيل ...

وكان هو بَرِماً بحياته الزوجية ، يشرح لصديقه ما يعانيه من متاعبها ، على الرغم من أنه حديث عبد بعُـر س ...
فانطلق بقول :

لقد حسبت شهر العسل مديد الأمد ، فإذا هو متضائل منكش قصير العمر ، وما أسرع أن بدأنا عهد مناوأة وعناد ... إن الحياة ياصديتي لاقصر من أن تتسع لهذه المناكدات، ولذلك أجمعنا أمرآ نضم به حدًّا لما نكابده ... ما أعجبها نهابة عاجلة لم تقع لى فى حسبان

وأشمل الزوج المتذمر لفافته، وأشرَع نظراته في الآفق ؟ كأنما يطلب إلى السماء تخفيف ما به ···

وانبعثت صدحات موسيقية رفيقة تتودد إلى الأسماع ،

وكان نغمها شجيًا تستنيم له الاعصاب، وتستيقظ الاحلام . . فلبث الرفيقان وقتاً يستعذبان تلك الانغام الرقاق ...

وتنهد الزوج من أعماق صدره. وهو يصل ما انقطع من حديثه ، فى صُوت تشيع فيه الرخاوة ... قال :

أنعلم كيف عرفتها ؟

إنها لمصادفة عابرة كان لها فى حياتى أباغ الآثر ، ومن عجب أنه كلما خطرت ببالى ذكرى هذه المصادفة أهـدت إلى جديداً من المتـاع ...

كان ذلك على شاطى. « سيدى بشر ، . . .

وكنت فى لمـة من الصحاب نسبح، ونستمرى مدّاعــــبة َ الامواج . . .

وبغتة دَوَّتُ صرخة استغاثة، فرأيت الشاطئ قد تراكسته عليه جموع الناس مهتاجين يحدَّقون في الماء...

وسرعان ما ظهر قارب النجاة يسوسه ذلك البحار المعهود، في قبصه المخطط، وسراويله القصيرة الدكناء، تتهدل على جوانب وجهه قبعته البيضاء . . .

وتلفتُ أنظر حيث ينظر الجمع ، فلحتُ على البعد رأســــآ

لا يكاد يطفو حتى يطويه الموج...

و ألفيتني أسبح من فورى ، قاصداً إليه ، دون أن يكون ذلك وليد عزم أو تفكير . . .

إنها خطفة من خطفات الشعور ، تريد المرء على الاضطلاع بعمل جسيم ، دون حساب لعقبي ، أو تقدير لما يكون . . .

كنت آنشذكتلة من الاعصاب، أندفع في تهور الحاق بذلك الرأس الذي يصارع الموت . . .

ووجـــدتنى أسبق القارب، وكلبادنوت من مكان الرأس، الزددت من حمية وحماس، فلقدكنت أحس أن أنظار الجموع على الشاطئ ترقب ما أنا مقدم عليه . . .

واقتربتُ من المكان المقصود ، فإذا الرأس يغشاه الموج ، وتنتشر على صفحة الماء خُـصُـلات من الشعركا ُنما هي دماء قائمة مسفوحة . . .

وغاب عن عيني في لحظة كل شيء . . . وشعرت بأني أتهاوك بين طباق الماء ، أتلمس ذلك الغريق الذي تعلق مصيره بجهدي .

وماكنتُ أرى شيئا . . . فقد تخبطتُ فى بطن الموج ،أضرب يبدى على غير هدى . وفجأة وجدتنى أرتظم بجسد ، وأحسستُ على الفور يدين تتشبثان بعنق فى قوة وعنف . ولا أدرى أى جهد واتانى حتى استطمت أن أجتاز غائلة المرج، دون أن بيحتذبنى التيار بمن أحمل إلى القاع ا

طفوت على سطح الماء ، ومازال الجسد متعلقابي ... وشاهدت من خلال غشارة الماء التي تغلف عنى شبح القارب يتوسطه ذلك القميص المخطط والسرو ايل الدكناء ، وهو يصبح بى أن أعجل إليه، فلم أعره جانب اهتمام . . . وكيف لهذا البحار الفضولي أن ينازعنى ماغنمته من فوز ، ويقاسمي دون حق ما بذلت من مجهود ؟ ! . . . ظللت في طريق أشق العباب ، وأناأ حمل ذلك الغريق ، وكنت أسه ملة عال صدرى ، وشعر ما الفاحر الغزير بأناه شريع أسه ملة عال صدرى ، وشعر ما الفاحر الغزير بأناه شريع أسه ملة عال صدرى ، وشعر ما الفاحر الغزير بأناه شريع أسه ملة عال صدرى ، وشعر ما الفاحر الغزير بأناه شريع أسه ملة عال صدرى ، وشعر ما الفاحر الغزير بالغزير بالغزير بالماء الغزير بالماء الماء الغزير بالماء الماء الماء الماء بالماء الماء بالماء بالماء بالماء الماء بالماء بالم

أحس رأسه ملتى على صدرى ، وشعر ه الفاحم الغزير يُـناوش عـتى...

ولا أذكر أنى تبينت من قسمات الوجه شيئاً . وقدُصَار ى ما لاح لى منه أنه وجه ممتقع ، لا تنبعث منه أنفاس . . .

وكانت صيحات البحار الفضولى تلاحقى، وضربات المجداف تبعث خفقها إلى أذنى، فألهب ذلك من شعورى، وأمدّنى بقوة أستعينها على الانطلاق...

لن أفلت هذه الفتاة التي ألقت المقادير شبابها ونضارتها بين يدى ...

لقدآمنت منذ اللحظة الاولى بأن مصيرها قد ارتبط بمصيرى،

وأمها قد أصبحت لى أنا وحدى 1 . . .

وبلغت الشاطى"، فصعدتُ إلى اليـابسة، وأنا أحمل كنزى الثمين أشق به الزحام، ومن حوالى" يتعالى الهتاف 1

وأشعل الزوج لفافة ثانية ، وزفر زفرة حـرسى، ثم استأنف يقول :

ما يسوغ لى أن أنكر ما أسدته إلى هذه الفتاة من جميل ... تلك النشوة الفريدة فى حياتى، بل فى حياة الاقلين من البشر ... ذلك الشعور النادر من الفوز والانتصار ...

ذلك الزهو الرفيع الذى يرئتّح أعطاف من أنقذ حياة إنسان ا ولم تنقض أيام حتى كنت للفتــــاة خاطباً، ثم أصبحت لها زوجاً ... وشميلتنا غفوة من غفوات الاحلام، نعمنا فيها بأفانين من مباهج الحبّ ومناعمه الحسان!

ونفض الزوج لفافته على طرف المنضدة ، وجعل يعبث بما تناثر من الرماد، وهو يردّد نظرات أسف وتحسر، ثم نفخ فيه نفخة أسلمته للريح... وهمهم : "

لقد تطايركل شيء كما تطاير الآن هذا الرماد ... لم يكن من ذلك بد ...

لست أدرى كيف أفضى بنا المساق إلى هذه القطيعة ؟

قصاركى ما انكشف لى أنناكنا على غير تآلف، أو على طرفى نيض . . .

ما اتصل بيننا شيء إلا كان مثار تنازع واختلاف ا وأرسل الزوج المنكود ضحكة عصبية ، وواصل قوله : بل إن أمراً واحداً لم نختلف عليه ... ذلك هو الفراق ! على هذا الفراق اتفقنا ، في خلوة شملتها السكينة والصراحة والإخلاص ...

ولقدكان اتفاقاً كاملا تفاهمنا فيه على « مستقبل الجنين » ... فسأل الصديق ، وقد اتسعت حدقتاه ·

أحامل هي ؟

۔ آحُـدَکُ ما علمت انہا مُسُوشکۃ اُن تضع ... اِن هی اِلا اَیام ...

ــ وهل تتزاوران ؟

– لم أرها منذ أشهر ...

وأمسك الصديقان عن السكلام .

ثم بدأ الزوج يقول :

إنها تطلب الاحتفاظ بالطفل. فلتكن لها مشيئتها، وسأضطلع بكل ماتتطلبه الحال من إنفاق... في سبيل الراحة تهون الصعاب

لستُ بمضمر لها حقداً ولا ضغينة ، وما أضَنَ عليهـــا ببذل ما يستوفى لها الطمأنينة ورفاهة البال ...

وأقبل فى هـــذه اللحظة رسول إلى الزوج ، فتدانى من أذبه ، وهمس له بكليات أثارت فى وجهه علائم الاضطراب ، ولكنه سرعان ما تمالك ، وهمهم : لا بأس ... ليس فى الإمر ما يهم ً ا

وتزايل شبح الرسول، وجعل الزوج ينقُرُ المنضدة بأصابعه نفرات تفصح عما يختاج في حنايا صدره من قلق .

ثم النفت إلى صديقه قائلا في ضحكه عابثة :

هم يبلغوننى أمها تضع ... أوَ حسبونى طبيباً يُــدُعَى في هذه المناسبة ١٢

فواجهه الصديق قائلاً فى لهجة رزينة :

إنك الزوج على أية حال ا

فصاح فی صوت متهدج یقول :

أندعونى زوجاً بعد أن تقطعت بينىوبينها الاسباب؟

فقال الصديق هادىء الصوت ، رقبق النبرات :

إن الزوجية بينكما في هدنة . . . لستُ بفارض عليك شيئاً . .

لك أن تسلك الطريق الذي تهوى ... لو كنت مكانك ...

فقاطعه الزوج قائلا:

لكنت الآن بجوار سربرها تحمل عنها بعض ما تعانيه ١٠٠٠. ألد كذلك ١٤

ــ حقاً إنك لإنسان غريب الأطوار ...

ــ أى غرابة رابتك منى؟

فلاطف الصديق كتف الزوج .قائلا :

إن أوضاع المجتمع تدفع بنا إلى اتخـاذ موقف فى الحياة ليس. لنا منه تمفـيض...

ثم تمهل يقول . . .

أضف إلى ذلك أن الموقف موقف إنساني ، يجب أن نرفع به فوق المشاحنات والاحقاد ...

ـــ إذا شئت الحق ، فقل إن الموقف لا يعــدو المجاملات الرسمية والنظاهر بما هو في الواقع رياء اجتماعي ...

ونهض الزوج على الفور ، فسأله الصديق :

إلى أين ؟

ــ أَلَمْ يُردُنَى عَلَى أَنْ أَذَهِبَ إِلَى المُستَشْنَى ؟ ! ووقف الصديق يبسم في ملاطفة ، وأخذ بيد الزوج يضغطها

كائه يقول له :

نعم ما فعلت أ

وما كاد الصديقان يبارحان المشرب ، حتى التفت الزوج إلى رفيقه ، وهو يتراءى بالمداعبة والمعابثة . . . قائلا :

وماذا تقترح أن أفعل أيضيًا ؟

ـــ مثلك فى رقة حاشيته ودمائة طبعه لا ينسى ما هو اللائق فى هذه المناسبات !

- ــ تعنى أن أصطحب هدية ؟
- كدت أرغب إليك فى ذلك ا
- ـــ أليس من اصطحاب الهدية بد ؟
- ـــ ذلك عمل يوحى به الذوق السليم ا
- ـــ لن تكون الهدية أكثر من طاقة ورد، كيفها اتفق...

وانطلقا مما إلى بائع الآزهار ، فا خذ الزوج يسير فى أرجاء الحانوت يتطلع إلى الرياحين المعروضة ... وما لبث أن أعرض عنها، وأقبل على الرهار يسأله عن نوع خاص من الورد النادر ، فاستنظره البائع لحظات ليجلبه له من مكان قريب ، فرجع الزوج إلى صديقه ينتظر الورد المنشود فابتدره الصديق قائلا :

فيم وقوفك ؟

ـــ فى انتظار الورد الذى طلبتُـه ا

ــ هل طلبت ورداً معيَّـنــًا ؟

- أجل ، طلبت نوعاً من الورد، كنت أهديت إليها طاقة منه فى يوم الخيطبة ... المسألة مسألة ذوق ، لا أكثر ا

فهر الصديق رأسه، وقال:

هذا عهدى بذوقك دّو°ماً ...

حمل الزوج طاقة الورد قاصداً في صحبة صديقه إلى المستشنى ... وانتهى بهما الدرّج إلى الطبقة التى تقوم فيها حُجَرُ الوالدات، فاستقبلهما بمشى فسيح بمند تسطع أضواؤه فتريد جوانبه سطوعاً ... الممرضات والاطباء فى ذهوب ومآب، يحثور الخطافى همة ومضاء . وهنا وهنالك زو ارتختلف سياهم و تتباين شاراتهم ، فهم بين قلت حائر بدافع لحظات النرقب والاستطلاع ، ومبتهج استخفته البُشرى ، فترنحت أعطافه من المراح ...

فأخذ الزوج يتلفت حوله ، وقد عاجلت عيّاه مَسحة من شحوب . وما كاد يجد نفسه عن كثب من إحدى الممرضات حتى أقبل عليها يواجهها فى اهتمام ، فيسألها :

این تقوم حجرة زوجته ؟

ولم يكن فى وقت الممرضة فسحة للوقوف وإجابة السائل ، فاستمهلته حتى ترجع إليه لتصاحبه إلى الحجرة التى تعنيه ...

فانتحى هو وصديقه ناحية ينتظران، ومرت دقائق ظل فيها الزوج واقفاً فيها يبدو، ولكنه فى حقيقة أمره مُستَسوُ فيزُ الاعصاب يتحرك فى موقفه حركات لوكانت خُطا لانطوت بها المسافاتُ الطوال...

ولمح غير بعيد تحمَفة يزجيها بعض الممرضات، وقداضطجمت فياسيدة عليها أعراض المخاض، فرنا إليها الزوج متفحصا متحققاً، وهو يهينم:

ليست إياها ...

وما كادت تتوارى المحفة بمن تحمل ، حتى ندّت صيحة نِسُوية قرعت سممه ، لا يدرى لها مأتى .

وأحس فى هذه الصيحة رنين مكروب على شفا الهـَـلـكة ، ينشـُـد الغوث ...

ورأى نفسه على الرغم منه ، يقبل على صديقه ضاغطأ ينت ، وهو يقول .

ما هذا الصوت ؟

ـ صوت حامل على و شك الوضع ...

فازداد الزوج ضغطاً ليد صديقه ، وهمهم : أيكون صوتها ؟

فلاطف الصديق يده مبتسماً ، وقال :

أنتَ منى بصوتها أدرَى ١

فترك الزوج صديقه . وخطا إلى نافذة قريبة ، وأسلم نظراته للأفق ، وطال به الوقوف على هذه الحال ، وقد حوّم به الفكر في أودية شتى ، وعبر به الزمن إلى عهد تقضّى :

شاطى، دسيدى بشر، يرخَر بالرواد، صفحة الماء تضطرب بالاجساد وهى تغالب العُباب ... هو فى مصطخب الموج يدلو منهراً ويبط ... حارس الشاطىء المعهود فى قميصه يتوسط قارب النجاة ... ذلك الرأس يطفو ويرسب، تنسكب خصلات شعره الفاحم على صفحة المهاء ...

و بغتة دوّت فى أذن الزوج صرخة استغاثة علىقت بقلبه ، فغامت عينه ، وأحس فى غشيّة حلمه كأنما هو يصارع الموج مندفعاً للحاق بالغريق . . .

وفى لفتة عصبية غير مقصودة ، أانى صديقه مقبلا عليه ، فلم يلبث أن اندفع إليه ، يقول له :

إنه صوتها حتماً . . إنها هي . . . إنها تنشد معونتي بلا ريب ا

وجاءت الممرضة تدعوهما أن يتبعاها ، فقادتهما إلى حجرة الزوار ، وقالت للزوج في إشراق :

لتطمئن ... كلّ شيء على ما يرام ... سأدعوك إلى حجرة الوالدة بعد قليل ...

ويارحت حجرة الزوار على عجل ، فقال الصديق للزوج: ما ىك ؟

فأجابه الزوج، مُسر عَسَ الصوت :

لا شيء ... لا شيء ... إنما هو تهافت أعصاب ، من وفرة ما قت به اليوم من أعمالى الخاصة . آن لى أن أخفف عن نفسي متاعب العمل .

ولبثا فى الحجرة فترة ، لا يتناقلان الكلام ، والزوج ساهم يُسرُ هف السمع ، ويتلقط ما يَـنــُأم من الأصوات .

إن صدّ كى الصرخة التى سمعها منذ لحظات ، ما فتىء يترجع فى سمعه . . .

إنه صوتها بلا ريب ...

شد ما تتاثم، بل شد ما تأثلت إبّان الحمل...

إنها نحيفة لا قسبَـلَ لها بمثل ذلك المجهود ...

لم يرها منذ أشهر خلت ...

أكانت في حاجة إليه ، فا ُخنتها العزّة ، وأبت عليها كبرياؤها أن تطلبه ؟

ليس ينسى ما لها من ابتسامة وديعة تنم عن سريرتها النقية الثي تَدْرِلَ عنها الضغائن والآحقاد...

صدى الصرخة يعاود أذنه في لجاجة وإلحاح ...

لن يصيبها مكروه ، ما دام قادراً على أن يذُود عنها ذلك المكروه

ونهض مستوفزاً يقول لصديقه :

هيا بنا ننظر ماذا تم ّ فى الامر ...

وفيها هما ماضيان إلى الباب ، قدمت عليهما الممرضة ، بين يديها لفيفة بيضاء ، عملها فى عناية وتحفظ . وقالت متهللة الإسارير وهى تقرب اللفيفة إلى الزوج ، وتميط عنها اللثام :

أنظر ... ألا تراها قرآ يتواضع لها القمر ؟ ا

فحدق الزوج فيها . وقد عاجلته البهتة ، وسال :

من تكون؟

فتضاحكت الممرضة ، ومالت بوجهها إلى صديق الزوج ، تقوله : انظركيف يتجاهل؟ ...

و تطلع الصديق إلى محيًّا الوليدة بين ألفافها ، وصاح بصديقة

نسخة منك وَ فَوْقَ الْأَصَلِ ا

غرنا الزوج إلى الولبـد، يتوسَّمُها في صمت واجف .

حقاً إن فيها الكثير من مـَشابِهِه وملامحه ...

ولكن ذلك الغم المتميز : لمن يكون ؟

و تلك الشفة العلبا ذات النتوء : أيَّة شفَة تُشبِه؟

وطارت به الذكر َيات إلى يوم اجتلى فيـه شبيـه تلك الشفة . . . يوم أنقذ فتاته من الغرق . . .

يوم انتشلها من بين أطباق المـــاء ، وحملها إلى ظُمُلتها على الشاطيء ، يسمفها بالعلاج . . .

لقد كان أول ماأستر عي نظر همنها يومئذ تلك الشفة ذات النتوء ...

اشد ما كان وجهها ساعتئذ شاحباً بالغ الشحوب ...

كانت مشرفة على الهلاك !

ورفع بصره من فوره إلى الممرضة ، يقول : كيف حالها ؟

إنها بخير ... وإن كانت قد عانت عسيراً من المجهود ...

ــــ ألم يحـن ِ الوقت لزيارتها؟

ــ كما تشاء ... إنها في الحجرة النالية ...

.وهم الزوج بالخروج. فاستوقفه الصديق قائلا:

لا تنسّ طاقة الورد!

فو قف لحظة حيران قاقاً ، ثم وقمت عينه على الوليدة ، فأشرق وجمه يغتة . ودنا من الممر تضة يجتذب اللفيفة من يديها ، وانطلق إلى حجرة الزوجة في خطا سراع ...

وما إن دخل الحجرة حتى احتبست خطاه ...

لقد طالعته زوجه ... ممدودة على سريرها ، بادياً شحوبها فجعل يرقبها مهتز الأوصال ...

وتلاقت عيناهما .

كانت نظرتها إليه كليلة وانية ...

وألني خطاه تتهادى به إلى السرير ، على استحياء . . .

وإذا بوجه الزوجة تكسوه سحابة من الشجو ، وتتخايل عليه اختلاجة إجهاش ...

فا هي إلا أن وجد الزوج نفسه يُهُـرَّع إليها، ويضم اللفيفة مترفقا في حضنها ...

وانحنى على يدها يبثها قبلة عميقه زاخرة ا

موعند

كان اليوم بوم الجمعة ، والوقت منتصف الحادية عشرة صباحاً حين جلس ، توفيق بك سعودى ، يدخن ويرتشف القهوة على مهل . وهو فى الفترة بعد الفترة ينقل نظره فى جريدة مبسوطة بين يديه ، إذ يستمتع بالراحة بعد أسبوع شاق قضاه يعمل فى وزارة المالية ، وعن كثب منه جلست ورجه ، بهيجة هانم ، منكبة على آلة الحياكة تخيط ثوباً لها .

ورفعت الزوجة بصرها تقول لزوجها : نسيتُ أن أخبرك بأن « ساى ، قدم بعد خروجك أمس ، فدخل حجرة ملابسك وانتقى من بين أربطة الرقبة رباطاً راقه .

فقهقه ، توفيق بك ، وهو يقول :

لعل ما أعجبه هو الرباط الأزرق ذو النقط اللمر ١٠٠

ـــ هو بعينه ...

ووضع , توفيقبك ، رِجلا على رجل وأتم فوله : ثم ماذا ؟

- لقد عرَّفتَ أمر الخُنفُّ ...

ــ رأيته في قدمه ..

وجعل د ټوفيق بك ، يهو ّ ساقه عا بثاً ، ثم قال :

ممن يأخذ إذا لم يأخذ مني ؟...

فتكطلق وجه الزوجة بابته المه نيرة، وعادت إلى نوبها تميكله. وأقبل و توفيق بك ، على الجريدة يقرأ ، ولكنه ما عتم أن ألقاها جانباً وهو يغهضم :

لا شي. إلا أنباء الحرب والفارات ... كا ثما خلت الدنيا مما يستحق آن يُسر وكى ... و و لاة الامور لا يُسعنو ن بغير ذلك من الششون ، أما حالة الموظفين ، والنظر فى إنصافهم ومنحهم من الدرجات ما يستحقون ، فذلك ما لا يتطلب منهم أقل العناية والاهتمام ا

فأجابتـــه زوجه وهى تدير آلة الحياكة وتتبع بنظرها: حركة الإبرة:

ومذكرتك التي تطلب بها النرقية ... ماذا تم فيها ؟ ...

- لقد أعددتها ، ولكن بجب أولا أن ...

وسُمع والتليفون ، يدق ، فقال و توفيق بك ، على الآثر :: أكبر ظنى أنه و محفوظ بك ، ، لقد وعدنى أن يمكالمني اليوم

في شأن هذه المذكرة.

- أسرع إذن ١٠٠٠

وكان « التليفون ، فى ركن بعيد من الردهة ، فنهض إليه « توفيق بك ، وظلت زوجـــه على حالها منصرفة إلى ثوبها تخطـه .

> وجذب د توفيق بك ، السهاعة وهو يقول : . ألو ! ، فإذا بصوت حلو النغمة لين النبرة بجيب :

> > و ألو و ... مَن المتكلم ؟ ...

فأجاب فى تحفظ : هنا منزل , توفيق بك سعودى . .

فقال الصوت الناعم : أموجود . سامي بك سعودي ، ؟

فأجاب د توفيق بك ، في لهجة حازمة :

وماذا تریدین من « سامی بك سعودی ، ؟. ..

... أريد أن أعلم أولا أموجود هو أم غير موجود؟ فقال و سعودى بك، في عنف: غير موجود ا

فتلطف الصوت الناعم وقال :

يا ﴿ عيسى ۽ …ْ

وهم « توفيق بك ، أن يقاطع المتكلمة ، فخانه صوته ، فرمى السماعة مكانها وهو يهدر : وقاحة . . . قلة أدب . . .

ثم عقد يديهُ خلف ظهره، وانطلق يصيح:

یا د عیسی ، ... یاولد یا د عیسی ، ... آین آنت یا کلب ...؟ فسمع زوجه تقول:

د عيسي ، اليوم مريض . . . وهو في بيته معتكف . . .

فدمدم وترفيق بك ، قائلا : فليذهب في داهية .

وانبعث يصيح ثانياً : يا د سامى ، ... يا ولد يا د سامى ، ...

فقالت زوجه وعيناها موصولتان بإبرة الحياكة :

إن د سامي ، مع أستاذ الرياضة في حجرة الدرس . . .

ب مع أستاذ الرياضة ؟ ا

واستأنف صیاحه ینادی: یا دسامی ، ... یا ولد یا د سامی ، ...

فرفعت د بهيجة هانم ، رأسها عن آلة الحياكة وقالت :

اتركه بربك يتم درسه في هدوء . إن الامتحان قريب ...

-- امتحان . . . هه . . . ا

وطفق یَذرَع الردهــة ویداه معقــودتان خلف ظهــره و هو یغمغم بالالفاظ یمضُــنها مضغاً ، فسألته زوجه : ما بك ؟ . . . أحدثك و محفوظ بك ، بشيء جـــديد في شأن المذكرة ؟ . . .

ــ المذكرة ... المذكرة .. نعم .. نعم .

وما في. يَذْرَع الردْهة بالخطا القلقة ، ومضَّت ، بهيجة هانم ، تستكمل عملها في حياكة الثوب ، وقد فطنت إلى أن أمرا جد في شأن المذكرة عكر على زوجها صفوه ، فحرصت على تجنب الحديث فترة حتى تسكن الثائرة .

ولبث ، توفيق بك ، يتابع سيره ذهاباً وجيئة ، وسمعته زوجه يحمجم : أطفال لم يخرجوا بعد من البيضة تصدر منهم هذه الاعمال ١ . .

ــ من تـَسي ؟

۔ ابنك دسامی ، . . . هل أعنى غيره ؟ . . . ابنك الذى حذّر تك مرارآ و تكرارآ من تدليله فلم تصغى إلى قولى .

ــ ماذا جرى ؟

_ لا شيء ... لا شيء ... وسامي، آية في الأدب والسكال ...

وما زال يسير وقد وضع يديه فى جيب معطفه المنزلى . وما هى إلا أن رَجع إليها ووقف أمامها يقول : أنت الى أنسديه . ما زلت تغمرينه بآيات المدح والإعجاب، ولا تنفكين ترددين على أذنيه أنه جميل، خفيف الروح، غاية فى الجاذبية، حتى حسيب نفسه ددون جوان، آسر القلوب ا

ــ ما هذا يا د توفيق ، ؟

_ ألم تلاحظى عليـ ه أنه أصبح الآن يُسعنى بزينته أكثر من عنايته بدرسه ؟ لقـد صار مكتبه أشبه شيء بمعـرض شاتق للعطور والادهان . . .

_ إنه شاب ، وسنه تتطلب ذلك!

ــ ستنة تنطلب ذلك ؟ لعلك ترعمين أيضاً أن سنّـه تلزمنــه بأن نبحث له عن ...عن خليلات ...

ــ أنت بلا ريب تهذى ا٠٠٠

فتحول عنها ، وخطا قليلا ، ثم قفل إليها يقول :

قلت لك لقد سممت عقله بهذا المديح ...

فابتسمت الزوج وقالت: ألا تعتر آلام بجمال ابنها؟... أليس دسامى ، جميلا يا د توفيق ، ؟ ... ولكنى أعترف لك أنه لم يبلغ مبلغ أبيه فى الوسامة مع أن قوامكما واحد . وعيونكما متماثلة ... وهذا الحاجب والانف والفم نسخة أصيلة منك يا د توفيق ، . تكادان تكونان تو أمين ! ...

وانثني عنها « توفيق بك » ، و ترفقَ في سيره ، بيد أنه لم يعقد " يديه في هذه المرة خلف ظهره، ولم يضعهما في جيب معطفه ، بل رفسها في سكينة و تؤكَّدَة إلى شاربه وأخذ يفتله في عناية 1 ... وعرس على مرآة قائمة في الحائط، وراح يتراءى فيها، ثم انعطف يمشي في الردهة لا ينبس . وعن له أن يقصد حجرة . سامي ه نفف إلها . وامتدت يداه تعيثان بأوراقه وأشيائه . وعثر فيها عش على بضهة أعـــداد من مجلات أسبوعية . فاعتدل يتصفحها على عجل، فاسترعت بصره صورٌ لبعض غانيات يعملن في المسارح والمراقص وقد جلمهن العدور في أوضاع خلابة ، فانهمك يتفرج، ورأى في عقب إحدى الصور علامة مرقومــــة بالقلم الأحمر، فأطال نظرته إليها ، وأسرع إلى ذهنه خديث والتليفور ، وذلك الصوت الناعم الرقبق. فلمعت عبناه ، واندفع ينقر حافة ً الباعدة ، ثم غمغم قاتلاً : سأفاجته بصورتها ، وسيفتضح أمره ... واقتطع الورقة من الجحلة ودسها في جيبه،ثم غادر مكانه وتوجه نحو الباب. . فعلق بصره بصورة ابنه على خُدوان الزينة محوطة بقوارير العطر والأدهان . فمثل قبالتها وقتاً وجعل ينفحصها شمر فع حاجبه الآيمن ومط شفته السفلي في استهزاء ، وترك الحجرة وهو ىتصاحك .

وما إن بصرت عينا زوجه به حتى بادرَ ته قائلة : ومذكر تك ماذا قال في شأنها , محفوظ بك ، ؟ ...

ـــ مذكرتى قال لى إنه عرض الأمر على الوزير ، ولكنى لم أعلم على وجه التحقيق ماذاتم حتى الآن ؟

واتجه إلى الشرقة وأسند يديه إلى حافتها وسرّح ببصره في أجواز الفضاء. ثم أخرج من جيبه ورقة المجلة، وجعل يتأمل فيها. وأسرع يطويها، ثم أشعل لفافة من التبخ ولبث يتفرس في دخانها، ورجع إلى الردهة بخطا بطيئة، وجلس على المتكل وقد بسط الجريدة أمامه وظل وقتاً ينقل نظره فيها، دون أن يقرأ حرفاً ... وسرعان ما صاح دفعة واحدة: أف لصوت هدده الحائدكة ... ما أنكر مُا ...

فرفعت ، بهيجة هانم ، بصرها إليه تتعجب ، بيد أنها لم تنبس . . . كان هذا أول اعتراض سمعته منه فى شأن هذه الحائكة . . . وما هى إلا أن استأنفت حياكتها ، فغمغم ، توفيق ، فى حسدة : إن الراحة مفقودة فى هذا المنزل . وألتى الجريدة من يده ، ونهض إلى حجرته .

طرح د توفیق بك ، جسمه علی مقصد فسیح وأخذ یز ُفِر ، ثم واتاه الهدو. رویدآ . فانطلق یفکر فإذا به یعرض مشاهد من حيانه، وأحس فى هذه اللحظة وحدها ما ساد حياته الراتبة من خمول يستوجب الملل: المنزل والديوان والقهوة. وجسوة لا تتغير، ونظام لا يتبدل، وطابع من الحياة أشبه بطابع التلاميذ في المدارس أو الجند في الشّكنات.. كان صوت الحائكة يهدر في الردهة، فساح وهو في مكانه لم يفارق مقعده:

أكاد أتجن من هذه الحائكة . . .

وحينئذ قدم وسامى ، على أبيه فقال له : هل طلبتنى يا أبى ؟ ـ ندم . طلبتك . . . أهلا وسهلا ا

وزايل ، توفيق بك ، مقعده . واشتبكت يداه خلف ظهره ، وعاد سائرًا فى الحجرة يغدو ويروح ، ثم مثل أمام ابنه ، وقال له وقد زورًى ما بين عينيه : إلى متى استهانتك بحق أبيك ؟

فدهش الفتى وتساءل: أي استهانة يا أبي؟

__ خــنى من قبل ، ورباط رقبتى أمس ... إنك لتبيح لنفسك ما أعده افتثاتاً على ما بحب لى من احترام .

- الحق يا والدى أنه لم يكن لدى رباط على لون كسوقى الجديدة ، وقد استأذنت والدتى فى استعارة هذا الرباط الملائم ، فأذنت لى .

... أذنت لك .. تعني أن لوالدتك حق التصرف في ملابسي

كما تشساء ؟ ا ...

- لم أقل ذلك . . . و لكنني أقصد . . .
- آه . . . لا . لا . . . لقد بلغ الأمر حداً لا يطاق . . .
 - ـ سأعيد إليك الرباطمن فورى . . .
- ـــ بعد أن استعملته . . . شكراً . . . وما شأن هذه الكسوة الجديدة ؟ . . . لم أعلم بها من قبل .
 - _ لقد نقلت اليك نبأها .
- _ لعلها الكسوة الخامسة أو السادسة التي تستحدثها هـذا العام، على حين أقتصر أما على واحدة أو اثنتين . . .
 - ــ إنني لا أستحدث كسوة إلا بأمرك ...
- ــ بأمرى أو بغير أمرى . . . لقـــد أصبحت الآن لاتُمعنى إلا بملبسك وزينتك . . . تحسّبُ نفسك أبهى الشبان روا. وأرشقهم قواما وأجملهم شكلا . . يجب أن تخلل رأسك من هذه الامكار
 - ــ ما هذا يا والدى ؟ إنى . . .
- ـــ يجب أن ثهتم بدروسك . بدروسك و حــــدها، وأن تعدل من سيرك ، وتقوم من سلوكك . . . أفاتك أن الإمتحان قريب ؟

إنى لا أغفُـٰل عن الدروس يا أبي ...

- هذه نصيحتي إليك . . . وما أبغي إلا نفعك . . .

وضرب يده فى جيب معطفه المنزلى غير عامد، فلست أنامله ورقة المجلة فأمسك بها وأبقاها مكانها ، ومثى يذرع الحجرة بخطوات قلقة وقال: إن والدتك قد أفعمت رأسك بألوان زاهية من المديح والإطراء ، فركبك الغرور وخيلت لك نفسك أنك د دون جوان العصر ، .

وتضاحك وهو يردد :

ولکن أی د دون جوان ، هـــــذا ؟ . . . دون جوان ، لایساوی بصله . . ۱

وربت كتف ابنه فى مداعبة ساخرة وقال له: لا يغضبنك كلامى ا إننى لا أعنيك وحدك، بل أعنى هذه الطائفة المتطرفة من شبان اليوم. هذه الطائفة التي إن وازنت بينها وبين طائفتنا حين كنا فى مثل أعماركم، ظهر لك البون شاسعاً . . . ومع ذلك فكيم نذهب بعيداً ؟ . . . تأمل قامتك المقوسة ووجهك المعروق ثم ارجع بصرك إلى قامتى المنتصبة ووجهى الريان لقد أفسدكم التخنث، على حين دفعتنا الرجولة الحق إلى المكانة التى نستحقها . . . وسك . . . إن الامتحان قريب . . .

وضمت مائدة الغداء الآب والزوجو الولد، وكان و توفيق بك، صمو تا موزع الفكر ، وحضر الطعام ، فأكل الثلاثة في جو يسوده السكوت المطوى على قلق وحيرة .

وزفر د توفيق بك ، مدمدمـًا :

كل يوم و قورمة ، ... أليس فى الدنيا غير و القورمة ، ؟ ... فقالت زوجه وهى تنظر إليه متعجبة :

إنه اللون الذي تستطيبه وتفضله على غيره من الألوان ...

ـــ ولهذا السبب تقدمينه إلى" كل يوم ... إن أشهى الآلوان وألدها إذا قدم كل يومكان جديراً أن يُسعاف ويكر و...

ـــولكننا لم نطبخ . القورمة ، منذ عشرة أيام ...

ـــ تعنين أننى كاذب فى دعواى ... ألا يحق لى أن أنتقــــ د الطعــام الذى آكله ؟ ... أثر يدين أن ترغمينى على أكل مالا أشتهى ؟ ...

_ إنك ثائر الاعصاب اليوم يا « توفيق » ولا يمكنني أن أبادلك الحديث .

فصاح على الأثر : إن كلامك هذا هو الذى يثير الاعصاب. ـــ إذن سألزم الصمت إن كان هذا يروقك .

سه ردن سالزم الصمت إن كان هذا يروفك .

ـــ لن تسمعيني ألفظ كلمة واحدة . استريحي ا

وفى الساعة الخامسة جعل « توفيق بك ، يرتدى ملابسه ، فإذا به ينتق أبهى ما عنده ، وكان يختلس النظر إلى ساعة يده فى الفينة بعدد الفينة ، وأحم فتل شاربه وتضميخ شعره بالعطور والادهان .

ودخلت عليه زوجه تقول : إنك بلا ريب تعمد نفسك « للسينها » . سنذهب ، معاً على حسب الاتفاق . . .

فقال لها وهو مهتم بعقد رباط الرقبة :

ولكن يا . بهيجة هانم ، لدى موعد مع . محفوظ بك ، فى شأن المذكرة .

ــ المذكرة ٠٠٠ ما هذا القول؟

فربّت خدها مداعباً ، وقال : لا تستائی یا عویزتی ... إنه موعد مهم جداً ... أما د السینما ، فیمکن أن یصحبك فیها د سامی ، .

فغمغمت ، بهیجة هانم ، : ، سامی ، . . لقد أخبرنی بآنه سیذاکر دروسه مع صدیقه ، فتحی ، . . .

فوقف د توفيق بك، وقفـــة اعتراض ، وقال : درس فى الصباح ... ودرس فى المساء ... أنسيت أن اليوم يوم الجمعة ؟ ... يوم الراحة والاستجام ... إن الولد يقتل نفسه

بهذا العمل المضني . . . ١

وأصدر « توفيق بك ، أمره إلى ابنه بأن يلغى مذاكرته مع صديقه « فتحى ، ، و يصحب أمه إلى « السينما » لانه شديد الحاجة إلى رياضة ذهنية تريحه من كد المذاكرة ...

وغادر «توفيق بك» المنزل بعد أن رشَـقَ وردة حمراء فى عروة سترته ، وسار فى خطا المتظرّف الرشيق ، ووجهته ... دار البريد ا

لينبر الأميرالهندي

نحية لذكرى المرحوم وعلى طبنجات،

سمعت بالشخصية المسرحية التي سَرَت بحديثها الصحف ، مُعدَّقة عليها ألقـاب الإشادة والإعجاب، وهي شخصية الامير الهندى. وأوتا كاما ، الذي يعرض دَوْره الهزلي البارع في مينها الكواكب ، . .

فهفا في الشوق إلى أن أفصد دار «السينها» في إحدى الأماسي ، الآنعمَ بشمود ذلك الفصل .

وما إن بدا الامير يتواثب في خفة على المنصة ، حتى ثارت عاصفة من النصفيق والحفاوة ...

وماكاد بصرى بأخذه ، حتى عَرتنى هزة

هذه الملامح والسمات معروفة لى بلا ريب ...

هذا الوجه الأعجف المسنون ...

وذلك الانف المدّليُّ ...

وتلك القامة القصيرة المرنة ..

اليس شيء من ذلك بالجديد في عيني ..

ولكن ما خَـطبُ هذه اللحية المشذبة الحَفيفة المعصفرة ١٠٠٠٠ وحوَّم بى الفكر غيرَ قليل ، تختلط على الأشباه، وأنا من أمر هذا الاميرُ في حيرة وعجب ! . . .

ليس هذا الرجل غريباً عنى . . .

أمكن أن يكون مَنْ أعني ؟ . .

أهو حقاً ؟ . . .

إن من يتجه إليه بالى قدطواه الردَى منذ أعوام ، وأصبح في ذمة النسيان . .

انطاق الأمير الهندديّ يمارس ألاعيبه، فاستهو انى بلطائفه وأفانينه : وما يشيعه من جو مرح ينتزع الضحك من أعماق القداوب ...

فأنسانى ذلك ما كنت أفكر فيه من اشتباه شخصيته على ... واندىجت مع النظارة فيما ينعمون به من أنس صخماب .

لقد كآن صديقنا «أوناكاما » يتألق فى لبوسه الحريرى » تنعكس عليه ألوان الآضواء ، وعلى رأسه عمامته الهدية المتطاولة الموسّاة ، آمنة أن تسقط ، وإن علا بها وهَـبط ، وإن دار بها فى الهواء دَوْراته «البهلوانية » الخواطف . . .

وفى الفينة بعد الفينة تنبعث من حلقه أصوات متباينة ، يحاكي

بها هديل الحمام حيناً ، ونُعاب البوم طوراً ، وصراخ القرود تارة ، ومُنواء القطط تارة أخرى . . .

وق يدّع ذلك كله ، فتراه دَفهة واحدة قد خيّل إليك بما يصطنع من نبرات متخالفة ، ولهجات متباينـــة ـ أنك تستمع إلى بجلس صاخب لآناس اشتد بينهم النقاش بمختلف اللغات ... ولا يلبث أن يفجأك بدورات متلاحقة يمثل لك فيها أشهر رقصات الأمم ، غير غافل عن إظهار حيد ته وبراعته فى وقصة البطون ا . . .

وإنه لببلغ الذروة فى ختـام دوره، إذ تنشق الارض عن الشيطان فى صورة مارد سمهرى القامة ، بائن الطول ، كأنه فى ثويه الاحر القانى. لسان من نار ...

فيتصدّى له الأمير الهندى ، وسرعان ما ينشب بينها عراك يلتحيان فيه و يختلطان ، فلا تدرى فى زوبعة المعركة الدائرة : أيها الآمير وأبها الشيطان ؟ ...

ولا يلبث الشجار أن ينجلى عن فوزذلك القزم الهندى ، بعد أن تورمت عيناه ، وتمزقت سراويله ، وهو يجرجر المارد ، بمسكا بقدميه ، على حين يتزايل شبحها عن النظارة بتزايل الأضواء ، وتراخى الاستار ، وسطعاصفة كمو جاء من التصفيق والهتاف ...

و تبع ذلك الدور عرض روا ية سينميّة على الستارة البيضامة. لم تستطع على طكلاوتها أن تنسيني مباهج تلك المعابثات التي راعنة بها القرم الهنديّ الساحر ...

وفيها أنا أبارح دار والسينها، شهدت لمه من الناس قد تجمهروا عدالباب، وقد انبعث منهم التصفيق والضجيح، وإذا بعيني تلمحان. القرَم الهندى فى لبوسه الحريرى اللامع، وعمامته الطولى، ولحيته الهفهافة المعصفرة. يخترم الصفوف، تتهادى خطاه، وهو يوزع بسهاته الرفيعة بين الجموع، ويبعث تحيانه إشارات رشيقة يتجلى فيها الظرف والكياسة ...

رَ نُوْتُ الله أَتَّامِلُه ، وانفق أَنالتقت نظرتي بنظرته ، فسرعان ما لمحت في عينه اختلاجة طارئة ، وأحسست بدا فع يحدوني أن أقبل عليه أحييه . . . ولكني شعرت به يشيح عنى بوجهه ، ويتابع سيره ، ثم ارتتي سيارته الفخمة ، وغاب بها بين أطباق الزحام . . . وبينها كنت في طريق إلى البيت ، عَاوَدَ تَنْ يَ الدهشة والعجب من ذلك التشابه الناطق بين الأمير الهندي وبين صديقي القديم وأبي على الارتيست ، ، فتملكتني صــورته ، واستبدت بي ذكر يات أيامه . . .

وَهُلُ أَنْسَى آخَرَ مُوقَفَ له عَلَى مُسرَحَهُ الحَثْبِي الوضيع الذي

شَيده في وسيدنا الحسين، بما ور ثه من مال أبيه، وكيف كان يمثل دوره في مأساة عنيفة انتهت بأن شيعه الجمهور بألوان من القذائف وضروب من صياح الاستنكار وصفير الاستهجان ؟!... وكانت آخر لقية رأيته فيها، وهو موسد فراش المرض في حجرته المهلملة التي يفصح كل ما فيها عن الإفلاس والاندحار... ما أنس لا أنس وجمه الممتقع، وقد انتابته غيبوبة مرضه الاخير، فاندفع في تخليطه يهذى بمشروعه الجسيم: إنشاء مؤسسة للتمثيل على أحسن طراز ا...

* * *

وفى الغداة ، وأنا أتناول فكطورى ، صلصل «التليفون» ، وإذا المتحلم كاتب سر الأمير الهندى وأوتا كاما ، يُسنهى إلى رغبة الأمير في المان يُسنهى إلى مندنق و شبرد ، ...

وكانت مفاجأة غريبة أسلمتنى إلى تفكير حائر لم ينته بى إلى ال . . .

· ماختطب تلك الدعوة ؟

وماذا يبتغى الآمير منى؟

وكيف عرفتني؟

وكنت كلما تقاسمتني هذه الافكار ، ازددت شغفاً وتطلعاً

وماكدتُ أخطو فى الحجرة حتى رأيعهُ د أوتاكاما ، ينهض دفعة واحدة لاستقبالى ، وقد بسط لى ذراعيه ، وهو يصيح : أهلا وسهلا ...

فوقفتُ مشدوهاً أحدَّقفيه ، وكأننى قبُالة شَـبَـح قد انشقتُ عنه غياهبُ المجهول البعيد . وهمهمتُ : من أرى ؟

فملا صوته يقوله : صديقك القديم ، ألا تعرفني ؟

۔ دأبو على ،؟ ا

فأقبل على يعتنقني، ويشد على يدى، ورأيتني أقول له: لقد شهد تك البارحة ...

ـ وأنا أيضا تبينتك َ بين الناس ...

ومال بوجهه قليلا، وهو يدعك يديه . ثم قال :

الموقف لم يكن موانيا لملاقاتك ا

ثم دعانى إلى الجلوس، واتجه إلى منضدة قريبة، فتناول منها قدحا قدمه إلى قائلا:

تذوق هذا الشراب الهندى ... ليس فيه عليك ضيير ...

فأمسكتُ بالقدح، وقد انسرح بصرى، وأنا ساهم أغمغم: ولكن .. كيف كان ذلك؟

فأطلق الصديق ضحكة مجلجلة ، وقال : لعلك تعجّب من لقائى الآن ، بعد أن غيبتنى أطباق الثرى ... يُحيى العظام وهى رَميم الله ثم أخذ يدى يضغطها ، واكتسى وجهه مسحة الجد والتفكير .

لقد مت حقا، مات صديقك دأبو على ، الذى كنت ترف من أمره كل شى. ... ولقد بُسمت اليوم بعثا جديدا ... تلك حياة طويتها، وهذه حياة أخرى أحياها ثانيا ...

ومد يده إلى علبية اللفائف السوداء الفاخرة ، وأعطانى واحدة منها . وأخذ لنفسه أخرى ، وأشعل اللفافتين بقد احة مُنـذ هيـَة ثمينة ...

واسترخَسَى فى ضجعته ينفُك ضَباب الانفاس ، وهو يقــــول :

ما أجمل أن يستمرى. الإنسان أطايب الحياة ١٠٠٠

وشاع الصمت بيننا فترة وأنا أنفرس فيه ؛ وهو يستمتع باجتذاب الانفاس من لفافته ، وسمعته على يقول وهو تائه الفكر ، شارد النظرات :

كان بودّى أن ألق بقية الرفاق ، وأرب أزور معاهد الذكر يات ... ولكنى أريد أن أستبق لنفسى حياتى الجديدة ، فلا أشوب صفوها بنبش الماضى . ذلك الذى كابدت من أيامه ما كابدت 1

ــ ألستَ راضيا عنحياتك الأولى ؟... لقد كنتَ فيها مجاهدًا وكانت لك مُسثل عالية تناضل في سبيل تحقيقها ...

ــ لم يكن ذلك كله إلا عبثا وأضغاث أحلام . لندّع الميت ينطوى عليه قبرُه 1 .

فجرعتُ من القدح جرعة أتذوقها على مهل ، وقلت خافض الصوت : حقا إنه لسرُ عجيب ا فتطلق وجيه ، وقال :

د ما زلت أنت كعهدى بك ، طلاعاً إلى التعرف ، شديد الفضول . . .

لن أبوح بمكنون أمرى لغيرك، فكن له صائنا...

إن هي إلا أيام قلائل أقضيها هنا في وطني الأول، ثم أواصل التطواف في مختلف الاصقاع ...

لقد شهدتَـنى آخر مرة وأنا على فراش الاحتضار ، أعالج

سَــكرَ ات الموت ٠٠٠ وماكان لك أن تعرف من أمرى بعد ذلك. أيّ شي. ١

لا تنتطر مني أن أجاهرك بالكثير مما غاب عنك ...

بحسبك أن تعلم أنى بعد أن ذاع منعاى بوقت لا أدرى أقصيراً كان أم غير قصير ، شعرت بمبعثى ثانية فى مدينة و الاقصر ، . . . وكنت لا أكاد أجد لى مأوى ، وتدهورت فى الحال أسوأ التدهور ، أمسيك الرمق بالكيسرة بعد لاى ، وأمتهن أرذل المهن استعطافا للقوت . . .

وكنتُ ساعة على رصيف النيل ، أتملى مَنغربَ الشمس ، وأشباحُ السفن تنساب على من المساء غادية رائحة ، تكسوها صبغة الشفق ، وكأنها بما تعكسه من ظلال قائمة تحمل بين طياتها طلائع الليل . . .

وبينها أنا مستغرق فى تأملاتى ، أعرض حياتى الماضية ، وأوازن بينها وبين أيامى الحاضرة ، إذ شعرت بيد تلاطف كتنى ، وإذا أنا أمام رجل أجني مهندم ، حليق اللحية ، ناصع البشرة ، يرتسم على وجهه و َ شم السنين . . .

فقال لى فى لهجة مصرية مألوفة : هل لك أن تكسيب الليلة دريالا ، ؟ فقلت على الفور وسـمار الجوع يلهبنى بكلسرور . . . نظير ماذا ؟

فأخذ بيدى ، وسارمعى على الرصيف ، وهو يقول : الأمرهين لا يكلفك شيئاً ... ليس عليك إلا أن ترتدى الجلة الرسمية السوداء والقبعة العالمية ، وتخطير على المسرح بضع دقائق ا

فثارت بى ذكر ًيات خالية ، ذكريات المسرح ، ومواقنى على منصته . . .

أية مفاجأة هذه التي تدعوني أن أصل ما انقطع من حياتي الفنيســة ؟

أوقفت أشرع نظراتى إلى الرجل ، وقلت :

ليس المسرح غريبا على . . . تستطيع أن تركن إلى . . . وسترى من أمرى عجبا . . . اشرح لى ما ينبغى أن أضطلع به من مواقف البطـــولة . . .

فأ نفت ذلك كل الانفة ، واستيقظت كبريائى تحمبى أن أذعن لَهذه السخرية التي تجافى الكرامة ...

و باطلا حاول الرجل إقناعي، وتهوين الأمر على ، حتى لقد اضطر رُتُ أن أردّه عنى ، فأغلظت له في القول . . .

وكلما أصررت ، ازداد بى إلحافاً ، وهو ينظر إلى فى ملاطفة ، و يبتسم لى فى رفق . . .

وما زال بي ، حتى قلت له في لهجة حاسمة :

هيهات أنْ أظهر على المسرح إلا فى الموقف الذى هيأتنى له العناية الإلهية ... لقد خُسلقتُ لآداء رسالة و المأساة ، !

فألفيته يتأملني مايًّا ، وابتسامته تلتمع على محياه ، وقال :

ليست هـ... ذه أول ساعه رأيتك فيها ، فإنى رقبتك أياماً موصولة ، وفطنت إلى النوع الذى تجيده ، ويقيني أن العناية الإلهية إنها هيأتك لفير والمائساة ، ... إنى رجل قد بَلوْتُ المسرح ، وأبَّلتني النجاريب ، فلتطمئن إلى اختيارى ، وأوكد لك أنك لن تَندَم على مطاوعتي !

فصحت حَمديُّ الصوت ، راجف الأوصال :

« الما ساة ، وإلا فلا !

فنظر إلى الرجل نظرة إشفاق وقال لى:

شائك وما تريد يا صاحبي ، وهاك عنواني . . إن شئت أن تراجع نفسك ، وترضى ما عرضته عليك ، فا نا في انتظارك ،

أرحب بك ...

ودفع إلى بطاقته ، وانصرف عنى . . .

فوقفت أشيع شبحه يطويه الظلام . . .

ثم أدرت بصرى إلى النيـل ، أتبين فى غير وضوح فلاع السفن تميدفى الآفق ؛ كأنها أشباح مخيفة توشك أن تهجم على ... وتناهت إلى سمعى أصوات المجاديف ، وهى تقرّع الماء قرعها المتواثر ، فتبعث فى نفسى الوحشة والاكتثاب ...

ووجدتُنی أتنحی عن الشاطی، و یدای معقودتان خلف ظهری ،وأنا خافض الرأس، یتوز عنی خلیط الهو اجس و الافکار ... وأحسستُ بین جنبی معركة الجوع تدور رَحاها في صَخب

مهما یکن من أمر ، فلن أذیلَ فنی ، ولن أشتری بمثلی العالیة ما یُسعرَض علیّ من قُدُوت وَضیع ، ومجد رخیص ا

ولكن . . . لنتدبر الأمر على هينة وريسُـل . . .

> أليست الفكاهة شُعترفاً بها فى التمثيل؟ أليس للمسرح أبطال د الملماة ، ؟

أليسوا هم وأبطال د المأساة ، على قَـدمالمساواة ؟ و تعالى من أحشائى صوت الغوث ...

وطوف بمخيلتي أبطال الإفاكيه والمهازل في عالم الفن"، يعرضون أدوارهم أمام عيني" ...

فر أيتى أستوقف شبح دشارلىشابلن، فى مواقفه المشمورات، لم يَدَعْ حركة إلاّ قام بهـا، ولا وسيـــــلة إلاِ ابتغاها، انتزاعاً للضحك، وبعثاً للبهجة والإيناس

على أية حال لو قدُدر لى أن أتدلى بنفسى إلى مواقف هؤلاء الابطال المضحكين ، فلن يكون ذلك إلا فى مثل هذا البلد الذى أما فيه ، غريب لا يعرفنى أحد...

وأخرجت بطاقة الرجل، أقلب فيها النظر، على سبيل التعرف، فشعرت مجمعاً لل تَـطوى الطريق إليه ...

وكان نجاحى فى تلك الليلة على المسرح تقريراً لمصيرى ا لقد تراميت فى خضم حياتى الجديدة ، بدافع لاطاقة لى برده، وتوالت الآيام ، أواصل الرحلات والآسفار ، يسلمى بلدإلى بلد، ونجمى يزداد من سطوع ، والنعمى تُقبل على بغير حساب ، وأنا أقوم بدورى الفكامى الجديد ، منتجلا شخصية أمير هندى ... لقد بدأت الغشاوة تُتفشع رو يدا عن عنى ، فأ صرت نفسى على حقيقتها ، وتوضحت لى عبقريتى فى ميدانها ، وعلمت أن مهمتى الاصيلة على المسرح هى تلك المهمة التى رأيتها أنت منى البارحة ... أن أرقص ، وأن أدور ، وأن أوالى هذه الافانين من المعاكسات والمشاحنات ا ... ،

واستبقاني صديقي وأبو على » _ أو بالاحرى ؛ أمير الفكاهة الهندى أساعة ، نعسمنا فيهـــا بأطايب الأحاديث ، وتذاكر نا سوالف الاحداث ...

وتركته مُــواعداً إياه أن نلتق فى القريب ، فصدَ فت بى عن المبادرة إلى إنجاز الوعد شواغلُ لم أستطع لها دفعاً ...

وصبح يوم قرأت فى صحيفة سيارة أن الأمير الهندى وأوناكاما، بارح ، القاهرة ، على منتن إحدى الطائرات ، تلبية لدعوة مفاجئة تلقاها من إحدى الدوائر الفنية فى الخارج ···

وَ عَلِّقَتُ الصحيفة على هذا النبإ تعليقاً تناولت فيه حياة الأمير الهندى ، فصورتها صورة مرقشة محشوة بالاكاذيب ···

وختمت تعليقها مطنبة " فى الإشادة بفن الامســـير ، سخية " له بأطيب الامانى ... فوضعت الصحيفة جانبـــاً ، تتخايل ابتسامة شاحبة على شفتى . . .

ثم وجدت يدى تدلف إلى أحد أدراج مكتبى، عابثة بما يضم من أوراق، وكان من بينها مجلة قديمة العبد، ورأيتني أقلب صفحاتها، فوقعت عبنى على نبذة 'تعلق بها المجلة على الرواية التي ظهر فيها ، أبو على الارتيست، يوم بنى مسرحه الخشبي الوضيع فى حى " دالحسين »

وجعلت أقرأ تلك النبذة ، فهالني ما فيها من نقد مر" . وتجريح بالغ القسوة ، وسخرية شديدة اللذع، وألقاب ذميمة في غيررحمة ... وكان ختام تعليق الجسلة نداء حار"ا إلى رجال الامن أن يسوقوا ذلك المأفون إلى مستشنى المجانين !

ونهضت أشعل لفافة ، وقصدت إلى النافذة ، أسيم النظر في الأفق ...

ما أكثرَ أمثال .أبي على ، فى الناس! ما أحوجهم إلى أن يموتواكما مات... وما أسعدهم بأن ُ يبعثوا كما بُنعِث !



جَرُبُ خاطِفة

١ - برقية إلى الآنسة ع . ك. بجاردن ستى أول سبتمبر :
 د أحملك ١...

هى كلة "واحده لا أقولُ غيرها، تَجر يا على أصول المنطق الحديث وملابسات العصر الحاضر.

أحبك ...

كلبة" حوت عناصرَ السرعة والتركيز .

نمم ، أحبك ، ولا تعنينا التفاصيلُ الآن !

م . ن ،

٢ ــ برقية الى الآنسة ع. ك. بجاردن ستى بتاريخ ٢ سبتمبر :
 و إن حب سنة ١٩٤٣ حب يهبط على القاب كما تهبط القنيلة من الطائرة قاذفة المفرقعات ، وهذا هو شأن حي .

رأيتك فى جهة ما ، وفى ساعة من ساعات ألحياة . ومن ثمَّ تكلم القصاء ، فأصدر حكمه الذى لا يُردّ .

اً هواك ِ يا معبودتى ا

م . ن ،

٣ - برقية إلى الآنسة ع. ك. بجاردن سنى بتاريخ ٣سبتمبر:
 د إننى أعرفك، ولكن أنت لاتعرفيننى. ماذا يُهم ١٢ وقد أحببتك، وستحبيننى ...

إنها إرادق،وهي أيضاً إرادتك. وإرادتُـناكليناهي إرادة القدر ا م ن ،

٤ - برقية إلى الآنسة ع ك. بجاردن سى بتاريخ ٤ سبتمبر :
 د توقعى غداً أمراً خطيراً.

مفاجأة ليس بعدها مفاجأة ...

لا تفاصيلَ اليومَ .

أعبدُكِ يا غراميَ الدائمَ ا

م . ن ،

وفى اليوم التالى وقف أمام باب الشقة مبحاردن ستى ، شاب مهندَم معطره، رشق وردة حراءً فى عُسَرٌوة سُسترته ، وحمل طاقة من الازهار الفو احة معدة الغزو القلوب .

وغتح الباب... وظهرت على عتبته غادة رائعة ملسن في منامة حريرية هفهانة ، فألقت على الشاب نظرة فاحصة من طر فها

الكحيل ذي الاهداب المتراصة الطويلة ، ثم قالت :

حضرتك بلا ركيب م . ن صاحب البرقيات .

ــ أنا تفسى ا ...

... تريد طبعاً أن تعلم ردًى على هذه البرقيات و َفَنْق مَـنطقك الحديث وملابسات العصر الحاضر ، حيث السرعة ُ والتركيزُ في الاقوال والافعال من ألزم الواجبات ...

ــــ لا فُمضٌ فوك.

ــ ها هو ذا ركني ...

وارتفعت بدُ الحسنا، وسرعان ماهبطت علىصُدْغالفتي... وإذا بفرقعة ترن متعالية ، فتتجاوّب بها الحيطان ، تَـــِـعها في الحال دَوى باب يُــقفل ...

وكان م. ن. حاد الذكاء، على اطلاع واسع بخطط الحروب الحديثة؛، فعلم أن الهجوم الخاطف إذا لم يصادفه انتصار حاسم انقلب إلى هزيمة فاصلة تتطلب التقبقر العاجل فى انتظام .

فأطلق ساقيه للريح - كما يقولون ـ وجعل يَـقفزُ على الدرَجِ مَثنى وثلاث ورُ باع ً ا ...

فهرس

منية							
							محمد أفندى صل على النبي
۸۹		•	•	•	•	•	زهرة المرقص . •
111	•		•		•		إحسان ته
144	•	•		•	•	•	زوج وضرتان
							ثلاثي عمر الحيام
۱۸۰	•	•		•			ابنة إيريس
197	•				•	•	عندما تضحك الأقدار
717	•		•		•	•	موعك
							سر الأمير الهندى .
							حرب خاعلفة

أحدث مؤلفات . محمود تيمور .

٠, ٠,	•
٢ النبي الإنسان	ا ـ بالعربية :
٣ — شفّاء الروح	
ء — عطر ودخان	ا ـــ بحمر عات قصصية :
د ــ رحلات :	١ - كل عام وأنم بخير
	٣ — مكتوب على الجبين
١ — أبو الهول يطير	٣ - شفاه غليظة
۲ — شمس وليل	٤ – دباب وغانيات
 قصص تمثیلیة : 	ه إحيان لله
	٣ فرعون الصغير
۱ صقر قریش	٧ أبو الثوارب
٧ سمهاد أو اللحن التالة	 ۸ أبو على الفنان
 ۳ — المنقذة وحفلة شاى 	
ء — المخبأ رقم ١٣	٩ زامر الحي
o — المتريفون [']	١٠ - قلب غانية
٣ فداء	۱۱ ئائروت
٧ — عوالي	١٢ — دنيا جديدة
٨ — أبوشوشة والموكب	۱۳ — نبوت الحقير
٩ — قنابل	١٤ — تمرحنا عبدب
١٠ — حواء الحالدة	ب ــ قصص مطولة :
۱۱ — اليوم خر	
۱۲ — ابن جلا	١ — كليوباترة في خان الحليلي
١٣ — أشطر من إبليس	۲ — سلوی فی مهب الریح
۱٤ – كذب في كذب	٣ — نداء المجهول
و ـ دراسات لغوية و	٤ شمروخ
	 حاو ومر ، تحت الطبع »
١ — مشكلات النفة العربية	ح ـــ صور وخواطر :
٧ دراسات في القصة وا	
•	۱ — ملايح وغضون

ب - بالونجليزية : قصص من صميم الحياة المصرية Tales from Egyptian Life

م — بالفرنسية :

1. Le Courtier de la Mort

2. La Belle Aux Lévres Charnues

3, La Fille de Diable

4. Bonne Fête

5. La Fleur du Cabaret

6. L'Amour par dela l'inconnu

7. Les Amour de Semi

g · Le Rieve de Samara

9. La Vie des Fantomes

عزرائيل القرية

شفاه غلظة

منت الشطان

كل عام وأنتم بخير

زهرة المرقص نداء الجيول

غرامات سامي

حلم سمارا

حياة الأشباح

د ــ بالاُ كمانية :

١ - بحوعة قصص نصرها السقصيق الألماني الدكتور و وبدمار »

٧ -- بموعة قصص نصرها الأديب المالي و كالم ،

ه – بالروسية :

ثلاثة بجلدات ضغام نصرتها المبتصرفة الروسية : السعة «الكلتوم عودة فاسيليفا » أستاذة الأدب المرين عامعة سيسك

وللنؤلف بحوعات بالقوقازية والعبرية والإيطالية والإسبانية والمجرية واليوجبلانية



ted by Till Combine - (no stamps are applied by registered

ملنزم لطب شبع وانیشر، مکتبة الآدات وطعته بالجمامیز ۵۲۰۸۱۸ ۲۵ میدان الأدبّران ۹۲۰۸۱۸